مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:25 عدد: 60 السنة:2021

حوار الثقافات والأديان في منظور الثقافة الإسلامية

-الأسس والقواعد-

Intercultural and Interfaith Dialogue in the Perspective of Islamic Culture

-Foundations and rules-

د.محمد سيف الإسلام بوفـلاقــة[1]
كلية الآداب،جامعة عنابة،الجزائر
saifalislamsaad@yahoo.fr

تاريخ الوصول 2020/11/21 القبول 2021/08/05 النشر على الخط 2021/10/30
Received 21/11/2020 Accepted 05/08/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

موضوع هذا البحث هو«حوار الثقافات والأديان في منظور الثقافة الإسلامية-الأسس والقواعد-»،وهو موضوع يُركز على ثقافة الحوار، وقيم التسامح التي جاءت في ديننا الإسلامي الحنيف،الذي يدعو إلى ترسيخ قيم التعايش السلمي ،والحوار الحضاري بين الأديان والثقافات، لا انطلاقا من مواقف آنية، ولا استجابة لظروف وقتية، ولكن تجسيدًا لوحدة النوع الإنساني، وترسيخًا لأسس سواسية الناس في الخلقة، وتحقيقا لإرادة الله عزَّ وجلّ في جعلهم شعوبًا، وقبائل ليتعارفوا، ذلك التعارف غير المقصود لذاته، أو لغايات اعتباطية، وإنّمَا لما يُثمر من تعاون، وتضامن يُسهم في تعميم الخير على الجميع.

وهذا ما يُلقي على الباحثين والكتّاب مسؤولية الكشف عن العوامل التي جمعت بين الشعوب، ووحدت أهدافهم ورؤاهم، و يدفعهم إلى التنقيب عن الأسس والمرتكزات التي أفرزت قاعدة صلبة لحوار الحضارات والثقافات عبر مراحل التاريخ .

لأجل كل ذلك، يسعى هذا البحث إلى إبراز خصائص الحوار الحضاري في منظور الثقافة الإسلامية،فتسليط الضوء على قيم التسامح، والتعايش السلمي الذي يكتسي طابعاً حضارياً،و يتصل بمسألة الحوار الحضاري، والثقافي بين شتى الأمم والأعراق له ما يبرره، فالحوار بين الثقافات والديانات المختلفة كان من المواضيع المحترمة في المجتمع الإسلامي الذي لم يعرف التعصب الديني إلا في حالات استثنائية قليلة ،وشاذة.

الكلمات المفتاحية: الحوار، الحضارات، الثقافة ، الأسس، القواعد.

Summary:

The topic of this research is "Dialogue of Civilizations in the Perspective of Islamic Culture - Foundations and Rules -" and it is a topic that focuses on the culture of dialogue and the values of tolerance that came in our true Islamic religion, which calls for the consolidation of the values of peaceful coexistence and civilizational dialogue between religions and cultures, not based on Immediate positions, not a response to temporary circumstances, but an embodiment of the unity of the human kind, consolidating the foundations of the equality of people in creation, and fulfilling the will of God Almighty to make them people and tribes to get acquainted, that unintended acquaintance with itself, or for arbitrary purposes, and in view of the results of cooperation and solidarity Contributes to the generalization of goodness to everyone.

This is what places researchers and writers responsible for uncovering the factors that brought people together, united their goals and visions, and pushes them to explore the foundations and pillars that have produced a solid base for dialogue of civilizations and cultures throughout history.

For all that, this research seeks to highlight the characteristics of civilizational dialogue in the perspective of Islamic culture, highlighting the values of tolerance and peaceful coexistence that has a civilized character and is related to the issue of civilizational and cultural dialogue between various nations and races is justified, as dialogue between different cultures and religions is justified. It was one of the respected subjects in the Islamic community that did not know religious fanaticism except in a few exceptional and anomalous cases.

Key words: dialogue, civilizations, culture, foundations, rules.

[1]- المؤلف المرسل: محمد سيف الإسلام بوفـلاقـة البريد الإلكتروني: **saifalislamsaad@yahoo.fr**

مقدمة:

لا ريب في أن ديننا الإسلامي الحنيف الذي انتشر بوساطة الحوار الحضاري ،يحتل موقعاً متميزاً في العطاء الحضاري الإنساني، والعالمي،فمما لا يشوبه شك أن الإسلام قد أرسى دعائم حضارة باذخة،تعايشت فيها الأجناس والأديان، وتثاقفت فيها اللغات والثقافات، والحوار بين الحضارات والثقافات«هو الآن ضرورة ملحة للعيش في عالم آمن ومستقر،ومشاهد العنف والفزع العالمية لا تبقي مكاناً لحياة إنسانية ذات معنى،لذلك فإن الحوار بين الحضارات والثقافات ليس ضرورة في المساحات الجغرافية، بل ضرورة في المساحات المعرفية،ونحن بحاجة ماسة لأن نجيب على ما يحيط بنا من أسئلة عميقة وواقعية،وأن نرصد مسيرة التحولات كما ينبغي،فالعالم اليوم متعطش إلى السلام والصداقة والحرية والعدالة،ويصر على أن ينال حريته وحقوقه الإنسانية،لكن حقيقة السلام والحرية والعدالة لا تُنال بالحرب والتعنت والتمييز،والسلام الذي يتحقق بالحرب هش دائماً وغير متين،أما السلام القائم على العدالة والإنصاف والحوار والمنطق فهو السلام الحقيقي الدائم،ولاشك في أن مبدأ الحوار بين طرف وآخر هو مبدأ يدل على توفر حضارة وثقافة لدى الطرفين،والحضارة تقود إلى الفهم والتفاهم وتبعد شبح الاختلاف الذي يؤدي إلى الصدام،فالحوار بين الأديان والثقافات صفة حضارية متقدمة جداً،وكثيراً ما أوصلت أطراف الحوار إلى بر السلام من حيث الاحترام المتبادل ومن ثمة الاعتراف بقدسية الأديان كلها،وإذا رجعنا إلى مبادئ الأديان الأساسية نجد أنها جميعاً تصب في مصلحة الإنسان الذي خلقه الخالق في أحسن تقويم»[1].

ففي عصرنا الراهن ما فتئت دائرة الاهتمام بحوار الثقافات والديانات تتسع وتتصاعد يوماً بعد يوم،حتى أضحى هذا الموضوع في الحقبة التاريخية الحالية هاجساً إنسانياً مشتركاً ومطلباً عالمياً مُلحاً،لا يُمكن الحياد عن تداوله وتناوله والانخراط فيه ومناقشة قضاياه وأبعاده،«فقد تصدر سلم قضايا الألفية الثالثة متجاوزاً كل الحدود الجغرافية و الفوارق المذهبية والاختلافات العقائدية والعرقية،وأدرج ضمن أولويات المشاريع الأممية،فقد أيقن الجميع بأن لامناص للبشرية من صراعاتها التاريخية الدامية بغير الانفتاح على الآخر والدخول معه في حوار جاد وبناء من أجل المصلحة المشتركة بعيداً عن كل أشكال التوحد والحسابات الضيقة.

ولا غرو أن إعلان الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو تحديداً أن تكون السنة الأولى من الألفية الثالثة سنة حوار الثقافات قد قدم الدليل الواضح على أهمية القضية وحساسيتها وأولويتها في أجندة اهتمامات المجتمع الدولي.

إن فكرة الحوار بين الثقافات والأديان لم تبن من فراغ ولم تكن أبداً–ولن تكون–ضرباً من الاعتباط الفكري والإغراءات الانفعالية،وإنما هي نتيجة حتمية ومباشرة لجملة من العوامل الموضوعية التي اعتملت فيها »[2].

و أهمية هذا الموضوع تزداد خاصة عندما نعلم بأن العالم المعاصر يسعى إلى تأسيس نظام جديد،كما أن الإسلام والمسلمين يتعرضون لحملات شعواء ترمي إلى تشويه صورتهم، وتقديم نظرة خاطئة عن ممارساتهم، بالإضافة إلى رواج بعض النظريات التي تسعى إلى التنكر لهذا العطاء الحضاري الإنساني الفريد من نوعه، فثقافتنا الإسلامية في العصر الراهن تقف أمام مجموعة من التحديات الكبيرة من أهمها:الحفاظ على الهوية في الشكل والمضمون،والتصدي لكل ما هو خطير عليها،ومحاورة الآخر على أسس صلبة،وسليمة ووفقاً لمنظور يبنى بين الطرفين على الموضوعية والإنصاف،ويبتعد عن التجني والإجحاف[3].

أولاً:أهمية الحوار الحضاري:

لا ريب في أن الحفاظ على التنوع يعد سر الحوار وديمومته في مختلف الأفكار والرؤى،ذلك أن الحوار في أصل وجوده يقوم على التنوع،إذ من غير المستساغ عقلاً تحاور المتفقين،لهذا كان قوام العملية الإقرار العملي والنظري بالاختلاف كظاهرة إنسانية يشهد بوجودها الواقع المعاش،من هذا المنطلق عدّ من العبث الدعوة إلى الحوار في كنف الأحادية الفكرية التي يراد فرضها على المستضعفين...،ويهدف الحوار إلى تحقيق الفهم المتبادل، وذلك من خلال قراءة الآخر عن طريق مصادره،وبذلك نقطع الطريق على الوساطة في التبليغ،ونمنع التوظيف الإيديولوجي للأفكار من قبل المعاندين،كما يفترض أن تكون المقارنة بين القضايا المتجانسة،فلا يجوز موضوعياً أن نقارن أصلاً في مجموعة حضارية بفرع عند مجموعة أخرى،ذلك أن الموضوعية تفرض أن يقابل الأصل بالأصل والفرع بالفرع،وأن تكون القضايا المتحاور

حولها متجانسة من حيث الطبيعة،فلا يقارن أمر نظري بآخر عملي أو العكس[4]،وتتجلى أهمية الحوار من خلال الأهداف التي يرمي إليها،ومن بينها أن«يصبح الحوار هدفاً دائماً بين أفراد الإنسانية،كأنه مسار الحركة الثقافية للبشر،وطريقة ذلك:

-التبادل الثقافي الحر بين جميع الأطراف.

-تبادل الزيارة بين المثقفين وعرض أفكارهم كما هي في واقع الأمر.

-تشجيع العمل الثقافي المشترك بين جميع المتحاورين.

-تأليف الكتب بلسان كل أطراف الحوار.

-السعي المتبادل لتصحيح صورة الآخر في بيئة كل طرف.

ويستثمر الحوار الهادف في التعاون الاجتماعي الفاعل،إذ لا يمكن موضوعياً التأسيس للحوار من أجل الحوار لأنه هدر للطاقات،فالحوار يهدف في أصل وضعه إلى تغيير الصور المشوهة عن الآخر في فكرك،بحيث نؤسس للفهم الموضوعي للآخر،وبذلك نحرر مساحة إضافية في عقول وقلوب المتحاورين للجهة الأخرى في العملية،ومن خلال هذا المسعى نوطئ نفوس أتباع كل فكرة لقبول رؤى الآخر،إن كانت تحمل عناصر البقاء والديمومة والموضوعية بما تتضمنه من عناصر إنسانية في مشروعها الاجتماعي والحضاري بصفة عامة،وتتجلى إنسانية المسعى فيما يأتي:

-تبادل الخبرات في الميادين الاجتماعية مع مراعاة الخصوصية الاجتماعية لكل مجموعة حضارية.

-إقصاء النظرة الاستعلائية التي يريد بعض الساسة والمفكرين الملحقين بهم تجسيدها في الواقع الاجتماعي الراهن.

-التمكين لفكرة التنوع الاجتماعي في المجتمعات البشرية،فالاختلاف الحاصل على طبيعة الأشياء ليس أمراً غريباً عنها»[5].

وتتمثل الوظيفة الثقافية للحوار في تحقيق جملة من الأهداف التي تأخذ مجموعة من الدلالات والأبعاد الحضارية،من بينها:

«1-التعامل مع المعلومات عن طريق توصيل ما هو صحيح منها،أو تصحيح ما هو خاطئ منها،أو تحليلها واستخراج حقائق منها.

2-تبادل وجهات النظر بين المتحاورين كي يعرف كل محاور وجهة نظر الآخر إما أن يتفق معه،أو يخالفه الرأي،فيطرح المحاور رأياً ويسمع المحاور الآخر هذا الرأي فيتحاوران حول صوابه أو خطئه.فالحوار عملية مثيرة للتفكير العقلي باعتبارها العملية التي تتطلب تبادل الآراء والأفكار والمعلومات والدفاع عنها دفاعاً منطقياً مقبولاً.

3-تزويد المحاور بمهارات كلامية و معرفية والحصول على خبرات من المحاور الآخر الذي يملك خبرات ومهارات لا يملكها المحاور الأول،فالحوار ليس ملكة عقلية موروثة،وإنما هو قدرات تكتسب تدريجياً لتصبح فيما بعد مهارات رصينة قائمة على خبرات متراكمة.

4-الكشف عن الحق والحقيقة:فمن خلال الحوار نعرف طبيعة الموقف،وأين توجد الحقيقة،و مع من الحق.

5-تدقيق مدى صواب أفكارنا:فالحوار فرصة من فرص الحياة لمراجعة الأفكار التي نعتنقها ومدى فاعليتها وقدرتها على الصمود تجاه الأفكار النقيضة،فمن خلال الحوار نختبر حقيقة أفكارنا وهل ما زالت قوية وصائبة أم تحتاج إلى بعض التعديل أو التطوير أو التخلي عنها إذا أصبحت غير ملائمة أو أثبتت الكشوف ضعفها أو خطأها.فالحوار مدرسة للمرونة العقلية والاجتماعية فيما أن الحياة دائمة التطور ودائمة التغيير،فيجب أن نلاحق حركتها المتدفقة مما يتطلب منا أن نقف موقفاً مرناً من الحياة والفكر والعمل على أساس مبدأ الأخذ والعطاء.

6-اختيار ذاتيتنا الإنسانية،فالحوار تمرين لمعرفة طبيعة شخصيتنا من حيث الأخلاق وطريقة التفكير فمن خلال أسلوب حوارنا نتعرف على مدى هدوء شخصيتنا والتزامنا بالمعايير الأخلاقية للتعامل الاجتماعي.

7-إيجاد قواعد للتفاهم بين البشر، إذ لولا الحوار لساد العنف والعدوان في العلاقات الاجتماعية،فهو الذي يوطد الصلات والمصالح الاجتماعية،كما أنه وسيلة للمحبة بين بني البشر،فهو وسيلة لنشر ثقافة السلام،وثقافة التسامح،و مواجهة التطرف والتعصب والغلو والجهل.

8- نشر الوعي بين البشر في جميع المجالات،كما أن الحوار وسيلة للتقدم العلمي والثقافي والروحي والأخلاقي.

9-الحوار وسيلة لكشف إيمان المرء من خلال أقوال الإنسان نستطيع أن نأخذ فكرة أولية عن مدى إيمانه،فالمؤمن الحق يتكلم بورع وخشية ويكون حافظاً لآيات قرآنية تعزز وجهة نظره»[6].

والحوار كما يفهم من وجهة نظر أفلاطون فهو سؤال وجواب«ومقدرة على تعريف الحقائق للآخر،والاقتدار على أخذ التعريف الصحيح من الآخر،وهذا هو فن التعرف على الحقيقة والوصول إلى الجمال المطلق،والحوار من وجهة النظر السقراطية التي ترى أن المعرفة دفينة في أعماق الإنسان،هو بمثابة قابلة مجربة تولد المعرفة إلى الدنيا،فالحوار السقراطي هو حصيلة اعتراف الإنسان بأنه لا يعلم،وأنه غير محيط بكل جوانب الحقيقة،ولهذا فإنه يعترف مسبقاً بالغير و الآخر و الخصم،من هنا فإن الإسكات والإفحام ليسا من نتائج هذا الحوار،ولا بد من القول إن الحوار في عالمنا المعاصر ظاهرة جديدة ترى أن نمو المعرفة يتوقف على النقد المستمر،وعلى تبادل القول والاستماع،وحصيلته إنتاج الفكر والتوصل إلى قواعد جديدة»[7].

وانسجاماً مع قيمنا الإسلامية،وديننا الحنيف فالحوار هو مفهوم شامل يبدأ بالتعايش،والغاية منه هي التعارف،وغاية الحوار هو حوار التعارف بين البشر الذين أدركوا وحدتهم الأصلية و أخوتهم الآدمية المتعالية على كل ما يُسهم في التباعد،فالحوار بمفهومه الشامل يتألف من بداية وغاية تربط بينهما قابلية البداية للتطور بفضل الانشداد إلى الغاية عندما يوجد من يسعى إلى القيام بواجب الرسالة الهادية،فالحوار التام من وجهة نظر الإسلام هو التعارف الذي يشترط الإبقاء على طلب الحقيقة والعمل بها،ومن ثمة فلابد من تحقيق شروطهما المادية والروحية،ويعني ذلك أنه ينبغي القيام بالتنافس المادي مع الحضارات الأخرى بقصد غير قصد أصحابها،لكون ذلك أمراً ضرورياً لحماية قيم الحضارة الإسلامية، ولابد من التنافس الروحي معها بقصد غير قصد أصحابها للتبشير بهذه القيم تبشيراً يعتمد على النموذج الذي نقدمه أولاً،وعلى تحقيق شروط الأمر والنهي المسموعين أخيراً،لذلك فإن رفض الصراع باسم الحوار بين الحضارات الصراع الضروري للتدافع من أجل تحقيق القيم يعد هروباً من وجوب التنافس المادي والروحي بينها في مستوى الأدوات والوسائل حماية للغايات التي تمثلها قيمها،ودلالة على فضل هذه القيم،فالتدافع شرط ضروري لتحقيق القيم[8]،والحوار لا يوفر فرصة معرفة الآخر فحسب«بل إن ساحة الحوار توفر فرصة معرفة الذات ومعرفة الإمكانيات معاً،إن أول آثار الحوار هو الدخول في عالم المعرفة،معرفة الذات،أو بعبارة أخرى معرفة الهوية الشخصية،وقسم من معرفتنا يحصل بالمقارنة مع الآخر،أي أننا نعرف أنفسنا في مرآة الآخر،تماماً كما عرف الغرب نفسه،هذه المعرفة تحصل عن طريق النخب الفكرية،والحوار يؤدي-بطبيعته-إلى الكشف عن الذات وعن الإمكانيات،وعن القيود وعن المحيط،كما يُساعد على إدراك المشترك في الآفاق،وبهذا يخلق الانسجام والتعاضد والتفاهم»[9] ،وهو يأتي(الحوار) ليُعطي للاختلاف بعداً إنسانياً يضعه في شكله الطبيعي«و لا يسمح له بالتحول إلى طاقة تدميرية،بل إن الحوار يخفض من مستوى سلبيات الاختلاف ويرفع من مستوى إيجابياته،ليكون الاختلاف في هذا الإطار رحمة ويدفع إلى الاطلاع والمراجعة المستمرة،وهذا البعد يمنح الحوار مضموناً مصيرياً وموقعاً مهماً في استمرار الحياة بطعمها المستقر،وإبقاء الجنس البشري بمستوى ما حباه الله من عقل وقدرة على التفكير والاختيار.

إن الحوار أداة للكشف عن الحقائق والأشياء الخفية،ومن خلاله تتم الإجابة على كثير من علامات الاستفهام والإشكاليات العالقة في الذهن،أو تزيد من القناعات الذاتية،كما يمكن من خلاله كشف الباطل ودحضه وكشف مؤثرات بطلانه ودلائله،وبشكل مجمل فإن الحوار ينضج الأفكار والقرارات،وهو في الإسلام يعبر عن قيمة حضارية،لأنه أسلوب الأنبياء في التبليغ والدعوة،فقد انتشر الإسلام بالدعوة والوعظ والمحاجة والقول الحكيم،والذي أوصله إلى أقاصي الدنيا هو الحوار،فالإسلام هو دين الحجة ودحض الباطل بأسلوب الحكمة﴿أدعُ إلى سبيلِ ربك بالحكمةِ والموعظةِ الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾[10] .ولابد من الإشارة هنا إلى أن الحوار هو المنهج الوحيد في نشر الدين والدعوة والتبليغ،وهو يقتضي توفر مجموعة من المؤهلات من بينها:التساوي في الرغبة والتكافؤ في حرية الطرح،والتسلح بالعلم والمعرفة،والتحلي بأخلاق لائقة وراقية من خلال التعارف والتوعية،والوضوح والموضوعية»[11].

وتحتل مسألة الحوار بين الأديان،ولاسيما منه الحوار الإسلامي المسيحي الحيز الأهم في المحيط الفكري في عالمنا العربي والإسلامي،«وقد أفرز هذا الاهتمام بمسألة حوار الأديان،والذي تزايد في العقدين الأخيرين من القرن العشرين،استعداداً ملحوظاً عند الكثير

من المفكرين وصناع القرار المسلمين والمسيحيين في الشرق العربي للمشاركة في مؤتمرات وندوات ونشاطات عالمية تدور حول الأديان،فقد شهد مثلاً مؤتمر الحوار المسيحي الإسلامي الثاني في فيينا عام:1997م حول مسألة(عالم واحد للجميع)مشاركة واسعة وجادة من الباحثين والقادة العرب،وقد كان السؤال الأساس في هذا المؤتمر هو(هل يرى المسيحيون والمسلمون،انطلاقاً من دعوى كل من ديانتهم امتلاك الحقيقة،أن تعددية اجتماعية وسياسية ممكنة انطلاقاً من التعامل القائم على الاعتراف للآخر بالحقوق عينها وعلى ممارسة التعاون في العمل سعياً وراء خير الجميع؟).

وقد تم التأكيد من خلال هذا المؤتمر على أن الهاجس الأول من الحوار المسيحي الإسلامي هو أن يجعل ممكناً تعايش الناس بكرامة وعدل و تحمل المسؤولية و الانفتاح على مساعي البشر ومشاكل جميع الناس،ويجب أن يكون الهاجس الأساس هو الاتجاه إلى العمل انطلاقاً من الإحساس بالمسؤولية المشتركة تجاه العالم،وهدف الحوار الديني هو خلق فرصة لقاء لوضع خطة عمل ورؤية اجتماعية وسياسية تحيل العالم إلى فضاء للعيش المشترك،والهدف هو الاستجابة لمعطيات عالمية وأخلاقية وسياسية واجتماعية في الدرجة الأولى.

وهذا أيضاً ما يراه وزير الأوقاف المصري السابق،محمود حمدي زقزوق فهو يرى أن مسألة تعايش الأديان لا يجب أن تدرس بحد ذاتها،بل يجب طرحها في الإطار الأوسع لمسائل تتعلق بحياة العالم في العصر الحديث مثل مسألة العولمة وتعايش الثقافات وحقوق الإنسان،وهكذا يصبح السؤال القاعدي لأي حوار بين الأديان هو: (هل يمكننا في مجتمع معولم أن نقيم تعددية دينية وثقافية حقة،ونضمن بذلك الاعتراف الفعال بحقوق الإنسان عامة؟)»[12].

ثانياً:ثقافة الحوار الحضاري مع الآخر في منظور الثقافة الإسلامية:

إن للحوار في ديننا الإسلامي الحنيف قواعده وآدابه،«ولعل من أبرز هذه القواعد والآداب ما ورد في سورة سبأ،حيث كان رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم يحاور غير المؤمنين شارحاً ومبيناً ومبلغاً،ولكنهم كانوا يصرون على أن الحق إلى جانبهم،فحسم الحوار معهم على قاعدة النص:﴿وإنَّا أو إيَّاكُم لعلى هُدى أو في ضلال مُبين﴾[13].لقد وضع الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم نفسه في مستوى من يحاور تاركاً الحكم لله سبحانه وتعالى،وهو أسمى تعبير عن احترام حرية الآخر في الاختيار،وعن احترام اختياره حتى ولو كان على خطأ،وذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:﴿قل لا تُسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾[14] فكان من آداب الحوار،بل من المبالغة في هذه الآداب أن وصف اختياره للحق وهو على حق بأنه إجرام(في نظرهم)ووصف اختيارهم للباطل وهم على باطل بأنه مجرد عمل،ثم ترك الحكم لله:﴿قل يجمع بيننا ربنا،ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾[15] إن احترام حرية الاختيار هنا ليس احتراماً للخطأ،فتسفيه وجهة نظر الآخر ومحاولة إسقاطها ليسا الهدف الذي لا يكون المحاور مجدياً إلا إذا تحقق،إن من أهداف الحوار تعريف الآخر على وجهة نظر لا يعرفها،ومحاولة إقناعه بالتي هي أحسن بموقف ينكره أو يتنكر له.وهو أمر يشكل في حد ذاته أحد أهم عناصر الاحتكاك الفكري والتكامل الثقافي والتدافع الحضاري بين الناس،ومن دون ذلك يركد الذهن ويفقد العطش إلى المعرفة عود الثقاب الذي يلهبه،وتتحول مساحات الفكر إلى بحيرات آسنة،وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾[16] .

فالاختلاف بين الناس،وما يشكل الاختلاف من تدافع،يُشكلان أحد أهم موجبات عدم فساد الأرض،وهناك فوارق كثيرة بين علاقة الإرادة وعلاقة الفرض،فالعلاقة الأولى هي نتيجة حوار وثمرة تفاهم،ومن ثمة فهي فعل إرادي تحقق المحبة والاحترام والثقة،أما العلاقة الثانية فهي حال تنكر لحق الآخر وتجاهل لتمايزاته ولخصائصه،وتجاوز للحوار كوسيلة لفهمه وللتفاهم معه،فهي حال مفروضة،وكل ما هو مفروض مرفوض من حيث المبدأ،ومن حيث الأساس،ولذلك فإنها لا تحقق سوى البغضاء والكراهية وعدم الثقة.

وقد أرسى مجتمع المدينة المنورة في عهد رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم قاعدة لإقامة نسق تعاوني بين فئات الناس من مؤمنين وأهل كتاب في أمة واحدة،فالوثيقة النبوية أقرت أصحاب الآراء على آرائهم وتكفلت بحمايتهم كما هم،فقد قام مجتمع المدينة على قاعدة نشر الدعوة مع احتضان الاختلاف،وليس مع تجاهله ولا مع محاولة إلغائه،فقد حاور النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران في بيته في

المدينة المنورة وأحسن وفادتهم،وعندما حان وقت صلاتهم لم يجد النبي أي غضاضة في دعوتهم كما تذكر روايات ثقة إلى أداء صلاتهم،إن العقيدة في الإسلام تستقر بالفكر عن طريق الاختيار،ولا تلصق بالقهر والإجبار،والله سبحانه وتعالى يقول:﴿لا إكراه في الدين﴾[17] .

وال(لا)هنا نافية وليست ناهية،أي أنها لا تعني لا تكرهوا الناس في الدين،ولكنها تعني أن الدين لا يكتمل وهولا يكون أساساً بالإكراه.

على قاعدة هذه السابقة النبوية في دولة المدينة الأولى،فإن الإسلام لا يضيق بتنوع الانتماء العقدي،ولا يؤمن بالنقاء العرقي(لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى).فإذا كان التنوع من طبيعة تكوين المجتمع،فإن الحوار هو الطريق الوحيد الذي يؤدي بالاختيار الحر وبالمحبة إلى الوفاق والتفاهم والوحدة،ذلك أن البديل عن الحوار هو القطيعة والانكفاء على الذات،وتطوير ثقافة الحذر والشك والعداء للآخر»[18] .

ولا ريب في أن من أبرز مقومات الحضارة العربية الإسلامية الاهتمام بالآخر واحترامه،و السعي إلى خلق جسور تواصل وتكامل معه،و نبذ كل ما من شأنه أن يسيء إليه،«ويشهد تعدد الأقليات الدينية والإثنية في العالم الإسلامي،ومحافظة هذه الأقليات على خصائصها العنصرية،وعلى تراثها العقدي والديني،وعلى لغاتها وثقافاتها الخاصة،على هذه الحقيقة وأصالتها.إن اعتراف الإسلام بالآخر،ومحاورته بالتي هي أحسن،وقبوله كما هو لا يعود بالضرورة إلى تسامح الملمين،بل إلى سماحة الإسلام وإلى جوهر الشريعة الإسلامية.

إن للحوار أهدافاً مختلفة،فهو إما أن يكون وسيلة لتنفيس أزمة،ولمنع انفجارها،وإما أن يكون سعياً لاستباق وقوع أزمة ولمنع تكون أسبابها،وإما أن يكون محاولة لحل أزمة قائمة ولاحتواء مضاعفاتها،في هذه الحالات الثلاث تكون مهمة الحوار هي العمل على:

1-إبراز الجوامع المشتركة في العقيدة والأخلاق والثقافة.

2-تعميق المصالح المشتركة في النمو والاقتصاد والمصالح.

3-توسيع مجالات التداخل في النشاطات الاجتماعية الأهلية.

4-التأكيد على صدقية قيم الاعتدال وتوسيع قاعدتها التربوية.

5-إغناء الثقافة الحوارية التي تقوم على عدم رفض الآخر،والانفتاح على وجهة نظره واحترامها.

إن أي حوار يستلزم من حيث المبدأ تحديداً مسبقاً لأمرين أساسيين:الأمر الأول هو التفاهم على ماذا نتحاور،والأمر الآخر هو التفاهم لماذا نتحاور،أي أنه لابد من تحديد منطلقات الحوار وقواعده»[19].

ينطلق الحوار في الرؤية الثقافية الإسلامية من قواعد منطقية وعلمية تعتمد على الحجة والبرهان،ويتوسل الجدال بالتي هي أحسن،والموعظة الحسنة،فالله خاطب موسى بقوله:﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكري اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾[20]. .ويأمر باتباع الحكمة في الدعوة:﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين،ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[21] .

وتأكيداً لهذا المنهج ينهى الله سبحانه وتعالى عباده عن اتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم في السب والتسفيه لمعتقدات الآخر،فيقول:﴿ولا تسُبُّوا الذين يدعُون من دون الله فيسُبوا الله عدواً بغير علم﴾[22] .

ولا بد لكي يبدأ الحوار أن يمتلك أطرافه حرية الحركة الفكرية التي ترافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة،فلا ينسحق أمام الآخر لما يحس فيه من العظمة والقوة التي يمتلكها الآخر،فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه،ومن ثمة بفكره وقابليته لأن يكون طرفاً للحوار فيتجمد ويتحول صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر،وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه:﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾[23] . ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[24] .

فإذا امتلك أطراف الحوار الحرية الكاملة فأول ما يناقش فيه هو المنهج الفكري-قبل المناقشة في طبيعة الفكر وتفاصيله-في محاولة لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها،وهي أن القضايا الفكرية لا ترتبط بالقضايا الشخصية،فلكل مجاله ولكل أصوله التي ينطلق منها ويمتد إليها﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[25] .

كما لابد لكي ينجح الحوار من أن يتم في الأجواء الهادئة ليبتعد التفكير فيها عن الأجواء الانفعالية التي تبتعد بالإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير،فإنه قد يخضع للجو الاجتماعي ويستسلم لا شعورياً مما يفقده استقلاله الفكري:﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾[26] .فقد اعتبر القرآن الكريم أن اتهام النبي بالجنون سببه الجو الانفعالي والعدائي لخصومه،لذلك قدم لهم دعوة إلى الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء.

والمنهج القرآني في الحوار يوجه دائماً إلى إنهائه بمهمة وأداء رسالة تظل راسخة في الضمير،وإن لم يظهر أثرها في الفكر،إنه أسلوب لا يسيء إلى الخصم بل يؤكد حريته واستقلاليته،ويقوده إلى موقع المسؤولية ليتحرك الجميع في إطارها وينطلقوا منها ومعها في أكثر من مجال،ففي ثقافة الحوار في الإسلام جملة من الآداب والقيم والمناهج الأخلاقية التي تحترم الإنسان وتقدر حريته في الاختيار،كما تحترم حقه في الاختلاف وفي المجادلة[27].

لقد شجع القرآن الكريم على الحوار،بمعنى الكلام،وتبادل الرأي من أجل التوضيح والإفهام والوصول إلى الحقائق كما هي بعيداً عن التزييف«والقرآن الكريم عندما فتح باب الحوار والمناقشة وصولاً إلى إقناع في إيناس ورضاء،لقد وقف أمام المراء الباطل،ومادام الأمر على هذا الوضوح فكان بالأحرى أن يجعل المحاور قصده الحق وبغيته الصواب،لقوله تعالى:﴿يوم يقومُ الرُّوحُ و الملائِكةُ صفاً لا يتكلمُون إلا من أذن لهُ الرحمنُ وقال صواباً﴾[28] ،وأن يكون منصفاً غير مكابر،لأنه يطلب الإنصاف،وأن يقصد قول الجد،فقد وصف الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم﴿وَمَا ينطِقُ عن الهوى﴾[29] ،وأن يقصد الحوار الحسن،وهو كل ما كان في معالي الأمور وفي محاسنها،لقوله تعالى: ﴿اللهُ نزَّل أحسنَ الحديث كِتَاباً مُتشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جُلُودهم وقُلُوبهم إلى ذكر الله﴾[30].وقال: ﴿ومنْ أحْسنُ قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[31] .

لهذا أمر الله أنبياءه بالتلطف في الحوار،وبالتي هي أحسن،ولقد تجلى هذا المعنى واضحاً عندما أوحى إلى رسوله محمد- صلى الله عليه وسلم- قال له:﴿واخفض جَنَاحك للمؤمنين﴾[32].

فعلى من يتصدى للحوار أن يعتزل الهوى،في ما يريد من إصابة الحق،فإن الله تعالى يقول: ﴿ولا تتبع الهوى فيُضلك عن سبيل الله﴾[33].وأن يتجنب الكذب في قوله وخبره،لأنه خلاف الحق،وإنما يريد الحوار وإبانة الحق و اتباعه،ولأن اللجوء إلى الكذب من الأمور التي حذر الله تعالى منها،فقال: ﴿ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يكذبُون﴾[34].وأن يتجنب الضجر وقلة الصبر،لأن عمدة الأمر في استخراج الغوامض وإثارة المعاني هو الصبر على التأمل والتفكر،ولقد ذم الله تعالى من اقتصر على ظواهر الأمور دون بواطنها،ونفى العلم عنهم،حيث قال:﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [35]

ولقد أجمع العلماء وذوو العقول على تعظيم من أفصح عن حجته،وبين حقه،واستنقاص من عجز عن إيضاح حقه،وقصر عن القيام بحجته،وذم من لا يقيم حجته،ولا يستبين عن حقه في خصومته،لقوله تعالى:﴿أو من يُنشأ في الحلية وهو في الخصام غيرُ مُبين﴾ [36]،وقوله تعالى: ﴿ والذين يُحاجُون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضبٌ ولهم عذابٌ شديد﴾ [37].

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم،يعرف كيف دعا كتاب الله المؤمنين إلى اتباع سلوك طريق الحسنى في حوارهم،وبين لهم حصاد ذلك من أنه يقلب العدو صديقاً والخصم الألد حميماً،ولهذا حرص القرآن الكريم على أنه يجب على كل من يحاور أو يجادل أن يكون حواره دحضاً للباطل وإحقاقاً للحق،حتى يصل المجتمع الإنساني إلى الغاية التي رسمها سبحانه وتعالى له»[38].

ورسولنا محمد- صلى الله عليه وسلم- عُرف بحواره الحضاري الراقي مع الأديان الأخرى،وهو المثل الأبرز والمشرق الذي ينبغي أن نقتدي به،ففي بدايات هجرته إلى المدينة المنورة« وفدت عليه الكثير من الوفود كان من بينهم على سبيل المثال وفد من نجران جلسوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحادثونه ويسألونه عن الدين الجديد وأوجه الاختلاف بين هذا الدين والدين المسيحي الذي يدينون به،ثم حدثوه عن شخصية عيسى عليه السلام،وبعد حوار أخوي رأوا كما أخبروا النبي أن يبقى هو على دينه ويبقون على دينهم، ونتيجة لكون

الحوار ودياً بين الطرفين استضافهم الرسول–صلى الله عليه وسلم– بجواره حيث أقام لهم خيمة يسكنون فيها قرب منزله وفي جزء من مسجد المدينة.

وتذكر كتب التاريخ أنواعاً مختلفة من الحوارات الهادئة والمتزنة بين المسلمين والمسيحيين نذكر منها على سبيل المثال أن عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–طلب من خادمه شربة ماء،فأتى بها،وحين سأله بعد أن ذاق الماء العذب،من أين أتيت بهذا الماء؟فقال له:من عجوز مسيحية مجاورة،فذهب إليها عمر بنفسه ليشكرها وتحدث إليها،ثم دعاها إلى الإسلام فكشفت العجوز عن رأسها الأشيب فقالت ألا ترى أني عجوز كبيرة أقرب إلى الموت،فقال اللهم اشهد ،ثم قرأ قوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.

وعندما رأى عمر–رضي الله عنه–نصرانياً مقعداً يسأل الناس فأمر له بعطاء ثابت من بيت مال المسلمين،وهناك الكثير من الحوارات التي دارت بين المسلمين والمسيحيين كما تذكر لنا كتب التاريخ نورد منها بعض الأمثلة:حوار المسعودي المسلم مع زكريا المسيحي،والباقلي مع ملك الروم،ورشيق اليزواني مع قسيس من مراكش،والفخر الرازي مع قسيس من خوارزم،والشيخ محمد عبده مع عدد من المسيحيين»[39].

إن المبدأ الحواري مبدأ بنى عليه الإسلام منذ خمسة عشر قرناً حضارته وكيانه وفلسفته الإنسانية،فهو مفهوم أصيل في الإسلام،وهو«سنة كونية،تعتمد على تغيير المواقف واختلاف الحالات التي تعتري الإنسان في التفكير العقلي وكافة السلوكات النفسية الأخرى،وقد رسخ الإسلام مبدأ الاختلاف الذي هو أصل كل حوار والداعي إليه في الوقت ذاته،قال تعالى﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا﴾[40] .

وهكذا فالكونية الواحدة في الآية تعلل بكونها عامة،يشترك الناس كلهم فيها،باعتبارهم أمة واحدة أي مجتمعاً بشرياً واحداً متشابهاً من حيث خصوصياته الخلقية التي جبل عليها من حيث النوع البشري الذي ينتمي إليه،في حين أن الاختلاف المشار إليه في الآية،يدل على حصول شروخ عميقة أو طفيفة في تلك الكونية الواحدة،فتحولت من الوحدة العامة إلى التعدد الخاص...

ولعل مبدأ الخلاف في الإسلام هو رهين بمبدأ الاختلاف،وكلاهما يكمل الآخر في فلسفة الغيرية والتباين،والاسم دين يقر بالخلاف والاختلاف صراحة،قال تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾[41] .

إن هذه المرجعية الدينية تقر مبدأ الاختلاف في الإسلام وتضع للحوار مكانة متميزة في سلم الأخلاق الكلامية والفكرية في الدين الإسلامي...

ومن يتدبر آيات القرآن الكريم يكتشف أن الحوار فيه يتوجه إلى الإنسان في صورته الوجودية،باعتباره مخلوقاً واحداً،ودل الأسلوب القرآني بذلك على وحدة الإنسان في ظل ميثاق البشرية الذي هو ميثاق مقدس،قال تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا الله الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا ربكم الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾[42] .

إن مبدأ الحوار مبدأ حكيم في القرآن الكريم،ذلك أن مبعث الحكمة كامن في السماح للآخر بأن يجيب ويعترض أو يخالف دون مصادرة حقه في الاعتراض أو الرد،والله تعالى يصون هذا الحق لجميع المعارضين وإن أمعنوا في معارضتهم وتمردهم ومروقهم عن الدين،وقد تم التنبيه على هذه الفلسفة العميقة للحوار في مواطن منها قوله تعالى: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾[43] .ومنه قوله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره.إن الله لقوي عزيز﴾[44] ،ومصطلح التدافع والدفع بين الناس كما يفسره الكثير من المفكرين فهو لا يمكن إلا أن يكون نمطاً من أنماط الحوار،وهو يدل على مبدإ الحوار »[45]،فمن صفات المحاور المسلم في التصور الإسلامي أن يكون«عقلانياً في تفكيره مع نبد مبدئي لكل تفكير عاطفي،ونزعة تعصبية مقيتة تعمي عين العقل عن رؤية الحق والحقيقة،فكل حوار يلجأ إليه المسلم بعيداً عن هذه القيم وخارج هذا السياق العقلي،فهو حوار يتبرأ منه الإسلام،فالمحاور المسلم عقلاني بالطبيعة،لأن القرآن الكريم اعتمد على الحجة

والبرهان في تفسير عظمته وإعجازه،ولا أدل على ذلك من عبارات﴿لا تعقلون﴾ ﴿أفلا يعقلون﴾ ﴿ألا تعلمون﴾ ﴿ وفي أنفسكم﴾ ﴿أفلا يتذكرون﴾ ﴿أفلا يبصرون﴾،وغيرها من العبارات القرآنية التي تدعو صراحة إلى إعمال العقل واستعمال أدوات المنطق في البرهنة والاستدلال.

ومن صفات عقلانية المحاور المسلم عدم لجوئه إلى إغضاب الآخر وإثارته واستفزازه،لأن هذا السلوك الاستفزازي عاطفي وعصبي لا يدل على اتزان نفسي ونضج عقلي،وقد حذر الإسلام من ركوب هذا المركب في الحوار،بل نهى القرآن الكريم نهياً صريحاً عن هذه السلوكات الشائنة في قوله تعالى:﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾[46].

وعلى المحاور المسلم أن يبحث في حواره عن أسس فكرية وحقائق تجمعه بالآخر وتربطه به،حتى يكسب وده ويختصر مسافة الخلاف بينه وبينه،إذ من مفعول ذلك البحث عن نقاط الالتقاء الفكري والثقافي والديني بين المسلم والآخر،وهو الذي يحول الحوار من مجرد آلية للتواصل إلى آلية للتقارب والتعايش السلمي،وقد رسخ القرآن الكريم هذا المبدأ الحواري من خلال آيات تم فيها التركيز على نقاط الاتفاق بين المسلم ومن يتحاور معهم،ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾[47].

ومنه قوله تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[48].

ومن صفات المحاور المسلم أن يقف موقف الموجه المرشد الذي يُظهر الحق ويُزهق الباطل في الكلام،ويؤم غيره ويدير وجهته إلى الخير في سلام ووئام.فإذا وجد من الآخر أو الخصم استجابة ورضوخاً بالقول،أعانه على ما يريد وقرب منه المقاصد البعيدة وبشره ولم ينفره،وإن لم يخضع له الخصم ولم يتبعه فيما أراد،فهو يكف عنه ويدعه إلى غيره فلا إكراه في الدين،وإذا بلغ الجهد بالمحاور المسلم مبلغه،واستنفذ طاقته في الإبلاغ واستفرغ جهده في الإقناع،وظل الخصم على ما هو عليه من معارضة وعناد،فعليه ألا يحرج عن رسم الاعتدال واللين،وليدع ذلك الخصم الألد لمصيره المعتوم،عملاً بقوله تعالى: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[49].

ولعمري فهذا هو الموقف السليم الذي يجعل صاحبه في حل من أي تعصب أو ميل شوفيني،مادام ملماً بأن الله سبحانه وتعالى هو الحاكم الأعلى،وما الإنسان إلا مذكر بأحكام الله،فمن أراد تذكر ومن لم يرد ظل سادراً في غوايته،وقد خاطب الله تعالى رسوله بخطاب واضح تفهم منه دلالة هذا القصد في قوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾[50].

فوظيفة النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- هي التذكير والتوجيه،فما بالك بوظيفة المحاور المسلم العادي الذي ينبري إلى التوجيه والإرشاد والدعوة،فإنما هو مذكر،عليه الالتزام بقانون التوجيه وفق التصور الإسلامي القائم على نبذ العنف والإكراه وتحبيب التيسير والتفاوض السلمي.

إن هذه العقلانية والنزعة السليمة الهادئة هي مزية المحاور المسلم في كل حال وكل آن،ولعلنا اليوم أحوج ما نكون إلى هذا النموذج من المحاورين الألباء من المسلمين »[51].

إن النص القرآني الذي أسس جملة من الأفكار والرؤى العميقة التي تتصل بالتقارب والتساكن في المجتمع البشري بصفة عامة وفي«جميع الأمكنة والأزمنة،هو قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[52].

هذا النص يؤسس لفلسفة إنسانية في الإسلام تبني روابط الأخوة والصداقة بين أعضاء البشر دون شرط ولا قيد،ويقتضي هذا القانون الإلهي للتعايش والتساكن المجاورة والتعارف كمقومين أساسين،أحدهما يرتبط بالمكان وهو مقوم المجاورة،والآخر يتعلق بالذات الفاعلة وهو مقوم التعارف،ولما كانت الذوات البشرية مختلفة لزم أن يكون بينها من التعارف ما يحملها على الاجتماع والحوار والتواصل،وبتحقيق التعارف تبدأ البشرية في التواصل بإعمال آليات الحوار من أجل تلافي الصراعات ونبذ الخلافات الكبرى التي تؤدي،لو بقيت،إلى القطيعة و هجران الناس بعضهم بعضاً.

وعملاً بمقتضيات هذا التصور لمفهوم المجاورة أسس الرسول –صلى الله عليه وسلم–الدولة الإسلامية الأولى،وهي دولة منفتحة تحترم حق الجوار وحق التعارف وتسهر على نشر أخلاقيات الحوار والتفاوض السلمي.

ولعل أبلغ دليل على هذه المعاني الإسلامية السامية ما ورد من التعاليم في(صحيفة المدينة)التي تعد بحق الدستور الإسلامي الأول الذي صاغ فيه الرسول–صلى الله عليه وسلم–قوانين المجاورة والتعارف لعدد من الطوائف التي يتشكل منها مجتمع المدينة في تلك الحقبة التاريخية،فهي تعتبر أول دستور إسلامي يؤسس مفاهيم التعايش حسب التصور النبوي،ولقد وضع الرسول–صلى الله عليه وسلم– هذه الوثيقة لضمان شروط التآخي بين مختلف الطوائف والجماعات المكونة لمجتمع المدينة الذي عرف تنوعاً لافتاً،حيث كان يضم اليهود والمسلمين والنصارى،إلى جانب عدد كبير من القبائل العربية ذات الأصول القديمة.

فقد شرع الرسول–صلى الله عليه وسلم– في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار،ثم آخى بين هؤلاء جميعاً وباقي الطوائف في مجتمع المدينة عملاً بقوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم تُرحمون﴾[53].

ومن جانب آخر تتجلى أهمية الحوار بين الثقافات والأديان من حيث إنه«هو المنجاة من الانهيار التام والانهزام الكامل أمام قوة الهيمنة والجبروت التي تتمسح بمسوح النظام العالمي الجديد المزعوم،من أجل أن نحافظ على القدر المشترك من الإحساس الفطري بضرورة الدفاع عن الذات وحماية المكتسبات الإنسانية،وتجنيب العالم الوقوع في مزيد من الأزمات،وبما أننا نتحدث عن الرؤية الثقافية الإسلامية،فقد اهتمت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة،منذ وقت مبكر،بقضايا الحوار بين الحضارات،وكان لها دورها المميز بحكم اختصاصها ورسالتها في بلورة مفهوم جديد،متكامل ومتوازن،ومتماسك ومنسجم للحوار في مستوياته الثلاثة:

–الحوار بين الحضارات.

–الحوار بين الثقافات.

–الحوار بين الأديان.

لقد قامت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بتأصيل علمي لمفهوم الحوار،من خلال منهج تاريخي استقرائي،قادها إلى نتيجة مفادها أن مفهوم الحوار في الفكر السياسي والثقافي المعاصر،من المفاهيم الجديدة حديثة العهد بالتداول،فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولي،إذ لا يوجد له ذكر أصلاً في ميثاق الأمم المتحدة،ولا في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان،ولا في العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية،ولا في العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية،و لا في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي،وتأسيساً على ذلك،فإن الحوار مفهوم سياسي إيديولوجي ثقافي حضاري،وليس مفهوماً قانونياً.

ويكتسب الحوار في تراثنا الثقافي والحضاري معنى عميقاً يدل على قيم ومبادئ هي جزء أساس في الثقافة والحضارة الإسلاميتين،فالحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية،وهو موقف فكري وحالة وجدانية،وهو تعبير عن أبرز سمات الشخصية الإسلامية السوية،وفي رؤية الإسيسكو،يستند الحوار إلى أسس ثابتة،وضوابط محكمة،ويقوم على منطلقات ثلاثة:

–الاحترام المتبادل.

–الإنصاف والعدل.

–نبذ التعصب والكراهية.

وانطلاقاً من رؤية الإيسيسكو إلى الحوار،واستناداً إلى مفهومه الحضاري ،فإن الحوار الذي نسعى إليه ونحرص على المشاركة فيه لابد أن يراعي ما يلي:

أولاً:ربط أهداف الحوار بالمصالح العليا للأمة الإسلامية،بحيث لا يقع أي تعارض بين الأهداف المرسومة لأي حوار بين الحضارات والثقافات يشارك فيه الجانب الإسلامي،وبين القضايا الرئيسة التي تجتمع حولها إرادة الأمة الإسلامية،والتي تعبر عنها قرارات جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي،سواء تلك التي تتخذ على مستوى القمة،أو على المستوى الوزاري.

ثانياً:الاتجاه بالحوار نحو الجانب الإنساني،فلا يبقى دائراً حول القضايا الفكرية و العقائدية التي لا تنفع طرفاً من الأطراف،ويدخل ضمن ذلك تحديد الموقف الإيماني الخالص من حقوق الإنسان،ومحاربة الظلم والعدوان والاضطهاد والإفساد بكل أشكاله،بحيث يقع الحرص دائماً على إصدار بيانات مشتركة في أعقاب كل جولة للحوار تحدد مواقف أهل الإيمان مما يجري في العالم من انتهاكات لحقوق الإنسان في كل مكان،ومما يقوم به الظالمون والمعتدون والمفسدون في الأرض من بغي ومنكر،من وجهة نظر الحق والعدل والقيم الدينية المشتركة،وليس فقط من وجهة النظر السياسية والقانونية الوضعية ومصالح الأقوياء وذوي النفوذ في العالم.

ثالثاً: التنسيق بين أطراف الجانب الإسلامي في كل ما يتعلق بالحوار بين الحضارات والثقافات،بحيث تقوم الجهة الإسلامية الرسمية أو الشعبية التي تدخل في حوار على هذا المستوى،بإبلاغ كل الجهات،أو أهمها وأكبرها وأوسعها نشاطاً وحضوراً في ساحة العمل الإسلامي العلمي والفكري والثقافي،بموضوعات الحوار،وبموعده،وبالأهداف المرسومة له،وبالجهة التي تنظمه،حتى يمكن الانضمام إليه والمشاركة فيه لمن أراد وتوفرت له الأسباب.

فإذا سار الحوار بين الحضارات في هذه الاتجاهات،أمكن الوصول إلى نتائج إيجابية تخدم في المقام الأول المصالح العليا للأمة الإسلامية وقضاياها،وتعزز الجهود المبذولة على مستويات كثيرة للدفاع عن هذه المصالح ونصرة هذه القضايا»[54].

ولا شك في أن الحوار كان دائماً هو المبدأ الرئيس في معاملة المسلم لغيره،وهو حوار يقوم على المجادلة بالتي هي أحسن،وعلى الإقناع بالهدوء والفكر السليم والموضوعي،«ولا بد أن يتوفر شرطان في الحوار نفسه وهما يتركزان في:

أ-ألا يقوم على الروح التنصيرية،بل على المبدأ القرآني القائل﴿لا إكراه في الدين﴾[55] .

ب-أن يكون شاملاً،وألا يقتصر على رجال الدين والفكر،بل لابد أن يشمل رجال الاقتصاد والسياسة والأدب والإعلام والفن والرياضة.

أما الشروط التي يجب أن تتوافر في المحاور الغربي-كما يرى أحمد طالب الإبراهيمي- فيجب أن تدور حول:

أ-أن الغرب الذي يطالب كل الأنظمة القائمة في العالم الثالث بالتزام التعددية،حتى أصبحت هذه الأخيرة أهم المقاييس لديه لإصدار حكم على هذه الأنظمة،نطالبه نحن بدورنا بالتزام التعددية في المرجعيات الحضارية،لأن أحادية الحضارة الغربية معناها إلغاء المرجعيات الأخرى،ومنها المرجعية الإسلامية،وإن فرض مرجعية واحدة على الشعوب كمن يفرض عليها أن تعيش على طعام واحد،ويجبرها على أن تنظر بعين واحدة،ويلزمها أن تتنفس برئة واحدة،والأخطر من ذلك كله عندما يكون ذلك الطعام ملوثاً،وتلك العين حولاء،وتلك الرئة مسلولة.

ب-أن يعترف الغرب بقانون تداول الحضارات،وأن يقر أن الحضارة ليست حكراً له،تلك الحضارة متداولة بين الناس،نعم إنها اليوم ملك له كما كانت بالأمس ملكاً للأمة الإسلامية،وكما تكون غداً ملكاً لأمة ثالثة.

ج-أن يدرك أن ما يسمى بالحضارة الغربية اليوم هو ناتج شارك فيه أجدادنا بالقسط الوافر،والنصيب الكاثر.

وللمحاور المسلم شروط تندرج فيما يلي:

أ-إذا كنا نطالب الغرب بالتزام التعددية على مستوى الكون،فإنه من واجبنا أن نطبق التعددية في بلداننا،خاصة أن التعددية من أسس حضارتنا،فنحن نعلم أن الخلاف في الفروع رحمة،وأن التعددية المذهبية أول مظهر من مظاهر التعددية في تاريخ الإسلام.

ب-أن ننطلق في مشروعنا النهضوي من مرجعية إسلامية،أي أن نبقى أوفياء لجذورنا العربية الإسلامية(شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء).أما أنصار الحداثة الذين يدعون إلى القطيعة مع العروبة والإسلام فإنهم-في الحقيقة-يريدون شجرة دون جذور،شجرة اصطناعية،لا تطعم بطناً،ولا تسر عيناً،ولا تطرب بحفيفها أذناً،وأقصى ما تصلح له أن تتخذ زينة أياماً معدودة ثم تذهب أدراج الرياح.

ج-أن يملك المحاور المسلم تصوراً للعالم الذي يحيط به،وأن يكون ملماً بالحضارة الغربية:واقعها،وتاريخها،وإمكاناتها،ثم يسعى إلى التفاعل معها بغية فهم الطرف الآخر في الحوار ثم التفاهم معه.

د-أن يكون مثالاً للخلق الصالح لكي يؤثر في غيره،وقد قال أحد أعلامنا(يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن)وكان القرآن الكريم هو خلق رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم»[56].

ويلخص الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي أهداف الحوار في:

هدف عقائدي وهو يتجلى في تصحيح الصورة المشوهة التي روجت عن الإسلام عقيدة وحضارة،فقد اشترك في هذه القولبة الإعلامية مجموعة من الصحفيين الذين يستمدون مرجعيتهم الفكرية من عدد من الأكاديميين،ولا بد أن نسعى إلى التأكيد على أن قيم العدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها هي من أصول حضارتنا الإسلامية ،ولا بد من إقناع مخاطبنا الغربي بأن هذه القيم قواسم مشتركة بيننا،وهذا ما يُسهل الحوار،خاصة أننا نجد قبولاً لهذه المبادئ ونضالاً من أجلها في كثير من بلداننا.

وعلى الصعيد السياسي فالحوار لا يكون إلا بين حضارات متكافئة،وهذا الحوار غير ممكن ما دامت الحضارة الغربية هي اللاعب الوحيد على مسرح العالم،وعلى هذا الأساس يصبح من أهداف الحوار مشاركة الحضارة الإسلامية في صنع القرار،والكفاح من أجل الحصول على منابر مختلفة ومقاعد في مختلف المحافل الدولية،وما ينبغي التأكيد عليه هو أن«الحضارة الإسلامية تتميز وتمتاز بخاصية التفتح على الكون ومن فيه وما فيه،إذ إن مرجعها الأول-وهو القرآن الكريم-يأمر المسلمين بالسير في الأرض للتعرف على الآخر،والاحتكاك به،والنظر فيما عنده،والاطلاع على ما أنجز ماضياً وحاضراً،والتقاط الحكمة أنى وجدت ،و التعاون مع هذا الآخر،ويعتبر تمايز الناس-لوناً وعرقاً ولساناً-آية من آيات الله،إن الإنسان-مطلق الإنسان-مكرم من الخالق،ومن كرمه الخالق فلا حق للمخلوق أن يهينه ويستعبده ويستعمره،وهو ما جعل أحد رموزنا يقول لأحد كبار قادته وولاته قبل خمسة عشر قرناً في حق نصراني مست كرامته: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟)،وهي الجملة التي اهتدى إليها الغرب بعد كثير من المحن والآلام وحروب الاستعباد ليتوج بها إعلان ميثاق حقوق الإنسان»[57].

ومن جهة أخرى يؤكد الدكتور يوسف الحسن على أن الحوار الذي نرغب في تجسيده بين الحضارات حوار« يحول دون استمرار الحضارات في النظر إلى بعضها البعض من خلال مرآة مكسورة،وهو حوار يقوم على الإيمان بوحدة الأصل البشري،وعلى مبدأ التعارف والتسامح الثقافي في مواجهة العنصرية ونفي الآخرين،حوار يؤكد على المشترك الإيجابي بين الحضارات،ويقر بأنه لا وجود لحضارات زائفة ويزيل ويمحو ذهنية المحاصر في عقل بعض الحضارات.

والحوار لا بد أن ينطلق من استعداد كل حضارة لفهم الأخرى،وتجنب إصدار أحكام مسبقة عليها،والاتفاق على إعادة صياغة صورة الآخر في إطار من التسامح،والرغبة المشتركة في بلورة قيم إنسانية،لإحداث التفاعل الحضاري...،فالحوار لا يعني نسيان أو تجاهل التميز بين الحضارات،لكن العزلة عن التأثيرات الحضارية الأخرى أمر صعب مثله مثل التبعية أو الذوبان،وهكذا فالدعوة إلى الحوار هي دعوة إلى التسامح والتعايش مع الآخرين،وإنكار لنزعات التفوق والسيطرة،وهي نظرة لقضايا المستقبل،وتعبير عن إرادة الحضارات المعاصرة لمعالجة هذه القضايا.

ولتقديم حضارتنا الإسلامية إلى الحضارات الأخرى لابد من مكاشفة الذات،ومعرفة جوانب قوتها ومكامن ضعفها،واكتشاف قدراتها الحقيقية وإمكاناتها الروحية والفكرية والبشرية والمادية،وإدراك صورة هذه الذات عند الحضارات الأخرى،ولابد بعد ذلك من تقديم فهم عقلي لعالمنا المعاصر،كما يتطلب التقديم الإجابة الواضحة عما يسمى(بالتهديد الإسلامي)للحضارة الغربية المسيحية،وتوضيح الرؤى لما يطلق عليه(الغزو الثقافي والقيمي)الغربي لمجتمعات الحضارة الإسلامية... »[58].

إن الحضارة الإسلامية لديها كل القدرات والإمكانيات للتكيف مع العصر،وتمتلك طاقات متميزة و خبرات وقيماً رفيعة تستطيع من خلالها تجسيد قيم الحوار الحضاري والتعايش السلمي والتسامح ،فهي الحضارة السمحة التي تُحرم إهدار كرامة الإنسان والسيطرة عليه واستغلاله،وتؤكد-مثلما أكدت حضارات أخرى- على أن كرامة الإنسان أسبق من كل انتماء وهوية حضارية،فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وكرمه،وجعله في أحسن تقويم.

ثالثاً:حوار الثقافات والحضارات:الأسس والقواعد

يجمع الدارسون على أن مسألة إظهار حقيقة الموقف الإسلامي من الرأي الآخر ضرورة أساسة من ضرورات الحوار الحضاري،ولاسيما في ظل جملة من الظروف التي قدمت صورة غير صحيحة عن الإسلام،نتيجة بعض التصرفات المتطرفة التي نجمت عن غياب ثقافة أخلاقيات الحوار وآدابه،ونتيجة«غياب التربية الإسلامية الصحيحة للسلوك والعقل على أساس الحجة والبرهان والدليل والموعظة الحسنة والمناقشة بالتي هي أحسن.

من هنا فالإعداد لحوار الحضارات يتجه إلى كشف حقيقة تراثنا الفكري،وهي عملية هامة تربوية لنا في الداخل،كما أنها ضرورية لتصحيح الصورة في الخارج.

وفي مسيرة الإعداد لهذا الحوار جدير بنا أن نستعرض تاريخنا من خلال التطبيق العملي للحضارة الإسلامية في موقفها من الأديان الأخرى ومن أفكار الآخرين،ففي هذا الاستعراض سنرى الاتجاه العام للمجتمعات الإسلامية ينحو منحى التعايش السلمي مع الأديان على قاعدة من احترام الإنسان وتكريمه،ومنحى الانفتاح على أفكار الآخرين وترجمتها وأخذ المفيد منها،ومنحى إتاحة الفرصة للتيارات والمدارس المختلفة لأن تعبّر عن رأيها بحرية...

ومن أولويات الحوار الحضاري دفع الحوار في اتجاه معرفة(الإنسان)،فهذه المعرفة ضرورية للوقوف على مدى جدوى الحوار،فالحوار يقوم بين البشر على خلفية الإيمان بالجانب المعنوي السامي في الإنسان،والدعوة إلى الاعتراف بالجانب الروحي من الإنسان،وتقوية الحوار لا تتحقق إلا بتقوية الجانب السامي من الإنسان،وهذا توجه يدعم دور الدين في المجتمعات الإنسانية،ويركز على رسالات الأنبياء التي تُجمع على تربية الجانب المعنوي الروحي من الإنسان كشرط لازم لتكامله وسموه وتحقيق أهدافه على ظهر الأرض،فالحضارات وراءها طاقة روحية،ويرى الكثير من المفكرين أن الدين أساس وجود أية حضارة إنسانية،ومن هنا فإن(الحضارة) تقوم على أساس إنساني روحي والصراع المصلحي المادي بعيد عن هذا الأساس،بل هو انحراف عن طريق بناة الحضارة الأوائل،وهو من أمارات السقوط والتدهور،ومن هنا فإن حوار الحضارات يتحمل مسؤولية الكشف عن حقيقة ارتباط الحضارة بالدين وبالطاقة الروحية التي يبعثها الدين في المجتمع،يتحمل مسؤولية تقديم فهم واضح وموضوعي للحضارة،وللعلاقات بين المجتمعات المتحضرة.

فحوار الحضارات مشروع ضخم كبير يمكن أن يكون له-إن أحسنا استثماره-مردود إيجابي متعدد النواحي على أمتنا الإسلامية،فمن جهة يحسس أمتنا بموقعها على الساحة العالمية،وبالمكانة التي يجب أن تعتليها بين المجموعات البشرية،ومن جهة أخرى يرفعها إلى مستوى المسؤوليات الكبرى »[59].

ومن أبرز الأفكار والرؤى التي قُدمت عن حوار الثقافات والحضارات ومبادئه الرئيسة أنه«لا ينبغي أن يقتصر الحوار الحقيقي على مجالس يؤمها رجال الدين المسيحي وعلماء الإسلام لاستعراض وجوه التسامح في الديانتين،كما لا ينبغي أن يقتصر على مناظرات أكاديمية تكشف مدى سبق كل من الثقافتين العربية الإسلامية والغربية،ومن ناحية أخرى ينبغي أن يتصدى الحوار لرصد تحليل نوعية الصور المرسومة عن الشعوب وحضاراتها في أذهان الآخرين وإمكانيات تطوير هذه الصور ثم طرح الصور البديلة،و بما أن الحوار ليس حواراً سياسياً بين أطراف ذات مصالح متعارضة فهو يجب أن يشمل رؤية كل منا إلى الآخر كما تبدو في الآداب والفنون والإعلام والدعاية ومقررات الدراسة.

ومن ناحية ثالثة لا ينبغي أن يُستخدم الحوار كمدخل لإذابة الفوارق والخصوصيات الذاتية لأي من أطرافه،ولا لعولمة ثقافة ما أو تعديل الأنساق القيمية للآخرين،مما يتفق ومعايير أنساق هذه الثقافة،لأن الهدف من الحوار ليس إدماج الثقافات،ولكن تعويد الشعوب والمؤسسات على احترام الاختلاف وكيفية التعايش رغم الاختلاف»[60].

وبناءً على مقترحات المفكر الدكتور محمد جابر الأنصاري،فقبل محاورة الغرب أو الشرق علينا القيام بتأسيس حوار جديد ومختلف مع أنفسنا يقوم على الأسس التالية:

« أولاً:تربية العربي المسلم على تقبل العربي المسلم الآخر،وكذلك مواطنه الآخر غير العربي أو غير المسلم،إن تقبل(الغير)من المواطنين في الوطن-تعايشاً وتحاوراً وتسامحاً-هو الشرط الأول لأي مشروع حوار حضاري أو سياسي مع الغرب أو الشرق،ومن يلغ أو يضطهد مواطنه (الآخر)فكيف يمكنه أن يحاور ويعايش الآخر المنتمي إلى قوميات وديانات وحضارات أخرى؟

إن العصبيات والمذهبيات والطوائف والإثنيات لا يمكن أن تكون(القاعدة) والمرجعية لأي مجتمع يواجه تحديات العصر الحديث،فلا مفر من التعايش مع الآخر في الوطن.

ثانياً:أن تضع السياسات التربوية في المجتمعات العربية في مقدمة أهدافها تقديم مقررات في الثقافة العامة تشرح مختلف عناصر التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية بصورة موضوعية رصينة ومسؤولة إلى الأجيال الجديدة...

ثالثاً:التنوير الثقافي العام بشأن المعطيات الحضارية الإنسانية المختلفة التي صبت في كيان الحضارة الإسلامية سواء من حضارات الشرق الأدنى القديم من بابلية وسومرية ومصرية قديمة،أو من الحضارات الفارسية واليونانية والهندية والصينية التي اقتبس منها العرب والمسلمون باختيارهم ومن موقع القوة والثقة بالنفس... »[61].

وكما يرى الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي فحوار « الإسلام مع الأديان الأخرى لن يكون مجدياً إلا إذا كان مسبوقاً بحوار آخر بين المسلمين في دوائر ثلاث:

-داخل المجتمع الواحد بين الأفراد،مما يعني نبذ عقلية الإقصاء والتهميش لأية فئة من المجتمع.

-ثم العمل الدائم بالحوار بين الدول العربية،والعالم الإسلامي من أندونيسيا إلى موريتانيا.

كما أن الحوار بين الأديان كمكون أساسي للثقافات والحضارات في حياة الشعوب ليس تماثلاً مع هذا الدين أو ذاك،أو سعياً لفرض نمط ثقافي معين،بل هو اختلاف وتنوع،واتفاق على التعددية،ومن المفترض أن يجري بين طرفين أو أكثر على قدم المساواة،وفي كنف الاحترام المتبادل لماضي كل طرف وتراثه وخصائصه،سعياً لإيجاد أفضل الصيغ للتعايش السلمي »[62].

ومن الشروط الرئيسة التي ينبغي أن تتوفر لتحقيق حوار مثمر بين الثقافات والأديان:

-الاعتراف المتبادل بالإسهامات التي قدمتها كل حضارة إلى رصيد القيم العالمية المشتركة،وهذا الأمر يتجلى بشكل واضح بالنسبة إلى الحضارة الإسلامية التي كان لها الفضل الكبير في التقدم العلمي و تطوير المعارف الإنسانية.

-جعل الدائرة العلمية بما تتمتع به من موضوعية ومصداقية الأساس الذي تستند إليه الدوائر والمستويات الأخرى لتحقيق النتائج المرجوة من الحوار بين الثقافات والحضارات.

-تكوين أجيال تكون مؤهلة للعمل المثمر بمبادئ الحوار بين الثقافات والحضارات،وهو ما يستوجب إدراج معاني الحوار الثقافي والحضاري بمختلف أبعاده في البرامج والمناهج التربوية لإعلام الناشئة بأهمية الإسهامات الحضارية والإبداعية لمختلف الشعوب والأمم،وتربيتها على التعاون والتضامن والتكامل والتسامح[63].

وإذا كانت دواعي الحوار بين المسلمين والمسيحيين كثيرة ومتنوعة،فإن معوقاته أيضاً« متعددة ومتشعبة،ويمكن تلخيصها في أمرين:الأول تاريخي،والثاني سيكولوجي.

أما العائق التاريخي فيتمثل-كما يقول بعض الدارسين الفرنسيين-في تلك النظرة التي ينظرها الغرب إلى الإسلام منذ أكثر من ألف عام.

وأما العائق السيكولوجي،فيتمثل في الإصرار على إجراء الحوار بلغة التبشير.

إن الحروب الصليبية خلقت الحاجة إلى إعطاء صورة كريهة عن الإسلام للجمهور المسيحي،وكان المبشرون لا يألون جهداً في نقل هذه الصورة الكريهة،وبعد فشل هذه الحروب واصل المبشرون السير في الطريق نفسه،وكانوا هم رواد الاستشراق،ولم يكن الاستشراق عملاً

علمياً بدون أهداف،بل كان يهدف في أغلبه إلى إنجاح الحملة التبشيرية،فسقط الاستشراق بدوره في ظلامية الصليبية،ولقد لعب الاستشراق دوراً غامضاً في خدمة الكنيسة والسياسة والاستعمار،وأسهم في توفير المبررات العلمية التي كان الغرب يحتاج إليها لتبرير نواياه التوسعية»[64].

وإذا كانت هناك معوقات فآفاق التعاون والتضامن واسعة جداً،فهناك الكثير من القضايا التي تشكل قاسماً مشتركاً« بين المسلمين وغيرهم،ويمكن التعاون فيها،كما أن الأخطار التي تتهددهم معاً ليست قليلة،ويمكن أن تشكل هذه القواسم المشتركة منطلقاً للتعايش والتعاون،وأهم هذه القواسم ما يلي:

-الإعلاء من شأن القيم الإنسانية والأخلاق الأساسية،فالعدل والحرية والمساواة والصدق والعفة كلها قيم حضارية تشترك فيها الأديان والحضارات،وترسيخها في المجتمعات هدف مشترك يمكن التعاون عليه.

-مناصرة المستضعفين في الأرض ومحاربة الظلم،ومن ذلك اضطهاد السود والملونين،فالإسلام يناصر المظلومين من أي جنس ودين.

-التعاون لمواجهة دعاة المادية الذين يُنكرون الغيب،ودعاة الإلحاد الذين يجحدون وجود الله،ودعاة الإباحية الذين يروجون لقيم لا تقبلها أخلاقيات مختلف الأديان.

وإذا استعنا بنظرة الإسلام إلى الحضارة الغربية-مثالاً على نظرته للحضارات الأخرى-نجد أنه لا ينظر إلى تلك الحضارة بازدراء واحتقار،كما لا يراها بعين الإعجاب والانبهار،بل يتعامل معها وفق الموجهات التالية:

-الإيمان بالتعددية الحضارية الثقافية التشريعية والسياسية والاجتماعية:﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم﴾[65] .

-العمل على تنمية آفاق التواصل الحضاري ومن ذلك الإفادة من الحضارة الغربية في المنهج العلمي في الكونيات والنظم الإدارية المتقدمة،وتجديد الإحساس بقيمة الوقت وقيمة العدل في ظل مناخ كريم،والدعوة إلى قيام شراكة إنسانية صحيحة وقويمة(التبادل العادل للمصالح)والسعي الجاد إلى خفض أصوات الغلاة من الطرفين.

-تأكيد الالتزام الواضح بالحرية وحقوق الإنسان ومشروعية الخلاف الفكري والتعدد الديني والثقافي و التداول السلمي للسلطة بوصفها أساساً من مبادئ الإسلام،ونبذ العنف في العمل السياسي.

-الدعوة إلى إحياء مبدأ التساكن الحضاري،واستكمال التوازن المفقود في الحضارة الغربية بالأساس الأخلاقي عبر قدوة ومصداقية يتطابق فيها المثال والواقع،ويكون بدلالة الحال أبلغ من دلالة المقال.

-مخاطبة الرأي العام الغربي من منطلق إنساني تجاه مآسي المسلمين-بإعلام قوي-والإفادة من ذلك في دفع عجلة الحوار والتفاهم.

-تشجيع فكرة المواطنة للجاليات الإسلامية في الغرب مع رعاية مستلزماتها.

-على الأقلية المسلمة أن تراعي المواثيق لدار العهد،التزاماً بالقوانين وانضباطاً بأحكامها»[66].

ومن بين الشهادات التي أدلي بها في العالم الغربي عن تشييد جسور التواصل مع الحضارة الإسلامية ما كتبه الأمير(تشارلز)،ولي عهد المملكة المتحدة،في محاضرته المعنونة ب«إحساس بالمقدس:بناء الجسور بين الإسلام والغرب»:«إنني أبدأ من الاعتقاد بأن الحضارة الإسلامية...تحمل رسالة هامة إلى الغرب،تكمن في الطريقة التي احتفظت فيها برؤية موحدة ومتكاملة لحرمة العالم من حولنا،وإنني أشعر بأننا في الغرب يمكن أن نلقى عوناً على إعادة اكتشاف فهمنا الخاص،بتقدير احترام التراث الإسلامي العميق للنواميس الأبدية للنظام الطبيعي.وأعتقد بأن تلك العملية يمكن أن تساعد في مهمة التقريب بين ديننا،ويمكنها كذلك أن تساعد-نحن أهل الغرب- على إعادة التفكير،ونحو الأفضل،في عنايتنا العملية بالإنسان وبيئته في ميادين الرعاية الصحية،والبيئة الطبيعية،والزراعة،وكذلك في العمارة والتخطيط الحضري»[67].

فالأمير تشارلز من خلال هذا النص يعترف بقيم التسامح وثقافة الحوار في الإسلام،إذ يؤكد على الرؤية الإسلامية المتكاملة للعالم،والتي تبتعد في نظرتها عن التجني والإجحاف في حق الديانات الأخرى،وتقترب من الإنصاف والعدالة مع الجميع،وبهذا يمكن تأسيس جسور وطيدة للحوار بين الثقافات والحضارات.

كما يؤكد من جانب آخر على أن الثقافة الإسلامية قد :«ناضلت في شكلها التقليدي للحفاظ على الرؤية المتكاملة للعالم بطريقة لم نرها ملائمة في الأجيال حديثة العهد في الغرب.إن ثمة كثيراً مما نستطيع أن نشترك به مع الرؤية الإسلامية للعالم في هذا الصدد،وإن هناك كثيراً في تلك الرؤية للعالم يمكن أن يساعدنا على فهم العناصر الأبدية والمشتركة بين دينينا،وبذاك المسعى المشترك،فإن مجتمعينا الحديثين الإسلامي والغربي يستطيعان أن يتعلما على نحو جديد النظرات التقليدية للحياة،والمشتركة بين دياناتنا،ويتعلما كذلك مسؤولياتنا المقدسة إزاء العناية بالعالم من حولنا وتدبيره»[68].

وقد تساءل الكثير من الباحثين المهتمين بمجال حوار الثقافات والحضارات عن إمكانية أن ينهض العالم الإسلامي بحداثة مختلفة ومغايرة عن حداثة الغرب،كما نلفي هذه التساؤلات عند(راينهارد شولسته)،ولابد من الانطلاق من قاعدة جوهرية هي:

«أولاً:أن عالم الإسلام إذا كان يفتقد إلى قوة الحضارة في هذا العصر إلا أنه يمتلك قوة الثقافة ومنظومة القيم،التي أدهشت الغرب على قدرتها الفائقة في الانبعاث والتجدد والنهوض، إضافة إلى القدرة التي أقنعت بعض الغربيين في اعتبار الإسلام أحد الخيارات الحضارية الكبرى في العالم المعاصر.

ثانياً:أن مشروع حوار الحضارات ينبغي أن نتعامل معه كفعل وليس كرد فعل في مقابل مقولة(صدام الحضارات) حتى لا نقع في إشكالية الثنائيات والتجاذبات السجالية،التي قد تضيق علينا عمليات الفهم ومحدوديات الإدراك وسطحيات المعرفة،كما يحدث أحياناً في الجدليات السجالية،وهذا يعني أن منظورات الرؤية لمقولة صدام الحضارات لا يفترض أن تتحدد بالنسق المعرفي لمقولة صدام الحضارات،وإنما بالسعي إلى تطوير اجتهادات وابتكارات من داخل الحضارات لتطوير مفاهيم الحوار وأرضياته وآلياته ومقاصده،وبالنظر إلى مفهوم حوار الحضارات كحاجة معرفية وعلمية يتشكل منها،ويتقوم بها،ويتطور من خلالها،والتطور المهم في هذا المجال هو أن قضية حوار الحضارات استطاعت أن تتحول إلى قضية يشتغل عليها العالم في نطاقاته الواسعة،وبذلك تكون هذه القضية قد سجلت أقوى رد على مقولة صدام الحضارات.

ثالثاً:أن حوار الحضارات بالنسبة إلينا في العالم العربي والإسلامي من المفترض أن لا يكون مجرد خطاب مع الآخر المختلف في الثقافة والجغرافيا والتاريخ،وإنه من الضرورة أن يكون خطاباً مع الذات أيضاً..

رابعاً:أن فلسفة حوار الحضارات هي البحث عن المشتركات العامة والجوهرية والحية بين الحضارات في الحقول والمجالات المختلفة.المشتركات في حقول الثقافة والفلسفة والفنون والقانون والسياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع إلى غير ذلك من حقول.وهكذا في مجالات العدالة والحريات وحقوق الإنسان إلى العولمة،فكل حضارة لها إبداعاتها واكتشافاتها وفتوحاتها،ولتعميق المعرفة واتساعها لابد من الانتقال المنهجي من النظر العام إلى قضية حوار الحضارات،إلى النظر الخاص والمتخصص في المشتركات بين الحضارات.

خامساً: إن مشروع حوار الحضارات هو رؤية للمستقبل،ولا ينبغي غلق جسور التواصل بالتركيز فقط على الجوانب التاريخية،فحوار الحضارات هو البحث عن المستقبل المشترك،مستقبل الجميع كما يقول(غارودي)للجميع،من خلال البحث عن مستقبلنا في هذا العالم،ومستقبل العالم الذي نحن فيه.

سادساً:لا ينبغي أن يُفهم من حوار الحضارات أنه حوار بين الإسلام والغرب،أو أن يتحدد في هذا النطاق،ولا أن يتأطر في حضارات المتوسط بين الجنوبية والشمالية،بل لا بد من الانفتاح على مختلف الحضارات والثقافات..»[69].

ومن يرغب في تشييد جسور وطيدة بين الحضارات والثقافات،فعليه التركيز على القيم الإنسانية المشتركة التي هي ليست حكراً على ديانة بعينها،ولابد كذلك من عدم التفريط في القيم التي يحترمها كل دين من الأديان،ومما يروى عن رسولنا محمد–صلى الله عليه وسلم–أنه قال: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى داراً فأتمها إلا موضع لبنة واحدة،فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة).

ولا شك في أن التأمل في الطبيعة الإنسانية وإخضاعها للدراسة يكشفان لنا امتداد الضمير الإنساني،حيث إن هناك الكثير من الطرائق البناءة في التفاعل مع الآخر،ومع الحياة بشكل عام،وهي طرائق روحية وعالمية «تتخطى الحواجز الدينية و السياسية والعرقية لتكشف عن إنسانية مشتركة واحدة.

إن مد جسور التواصل أو إيجاد نقاط تقاطع بين الأديان والثقافات والحضارات ،إنما يتم عن طريق الحوار المعمق والصريح الذي يؤدي إلى اكتشاف مناطق مشتركة يمكن البناء عليها من أجل التوصل إلى سلام حقيقي بين الأديان،وتجاوز مرحلة الصراعات الطائفية والحروب،لا بد من الحوار على النطاق الواسع وليس الضيق من أجل استتباب الأمن في العالم، وهنالك قواعد سلوكية ترشدنا إذا أردنا أن ننخرط بفاعلية في عملية الحوار مع أتباع الديانات من خلال التأكيد على أهمية التوافق بين المعتقدات الدينية والجوانب العملية،والبدء بالقواسم المشتركة،والأخذ بالحسبان تأثير حركة التنوير الأوروبية على الأديان،والأخذ بمبدأ عدم الإكراه،وإقرار حق الفرد في إعلان دينه،وإعادة النظر في محتوى مناهج التربية والتعليم،والنظر في التراث والتاريخ والاجتهادات الخاصة بديانة الفرد وديانة الآخر،ووضع أطر مناسبة لتفهم الاختلافات في الرأي...

فالعقل قوة فاعلة تحرك الإنسان على الفعل،والإسلام يُعلي من مكانة العقل،ويُعلي من شأن الحوار مع الآخر،وتحقيق الاحترام المتبادل بين الأديان والثقافات يقتضي وجوب معاملة أفكار الآخرين واعتقاداتهم بالاحترام نفسه الذي نريد منهم أن يعاملوا به أفكارنا واعتقاداتنا،فالاحترام المتبادل يعزز أسس التعددية،وينمي التضامن والتكافل بين شرائح المجتمع،ولابد أن ترتكز معرفة الآخر على دراسة تراثه وثقافته استناداً إلى المعلومات المتاحة بكل حرية.

إننا نعيش في عصر يشهد انسياباً حراً للمعلومات،ويجب ألا نعمد إلى التعامل معها بصورة انتقائية تؤدي إلى إساءة فهم الآخر وثقافته ودينه وتقوض المحاولات الجادة من أجل تأكيد نقاط الالتقاء بين الديانات والثقافات،فتعزيز الحوار الثقافي والحضاري بين الأمم يقتضي التأكيد على قيم الحوار التي تشمل التعددية،والمشاركة،ونبذ العنف والكراهية،ونشر ثقافة التعايش بين الناس في إطار التنوع والاختلاف القائم على مبدأ العدالة»[70].

إن كل من يسعى بفاعلية إلى تجسيد التعايش السلمي بين الثقافات والحضارات،لا جدال في أنه يركز على النقاط التي تلتقي فيها إرادة الشعوب بحضاراتها وقيمها وثقافاتها المتنوعة،ومن أبرز نقاط التلاقي العمل المشترك من أجل ضمان أن يسود السلام والتعايش والحوار البناء والراقي بين الشعوب في العالم «ولكي تعيش الإنسانية في جو من الأخوة والتعاون على ما فيه الخير الذي يعم بني البشر جميعاً،ولكي يتحقق ذلك لابد من الاستناد على الأسس التالية:

الأساس الأول:الإرادة الحرة المشتركة،بحيث تكون الرغبة في التعايش نابعة من الذات،وليست مفروضة تحت ضغوط،أياً كان مصدرها،أو مرهونة بشروط مهما تكن مسبباتها.

الأساس الثاني:التفاهم حول الأهداف والغايات،حتى لا يكون التعايش فارغاً من أي مدلول عملي،أو لا يحقق الفائدة للطرفين،فيجب أن يكون القصد الرئيس من التعايش هو خدمة الأهداف الإنسانية السامية،وتحقيق المصالح البشرية العليا،وفي مقدمتها ما يلي:

1-استتباب الأمن والسلم في الأرض،والحيلولة دون قيام أسباب النزاعات والحروب.

2-ردع العدوان والاضطهاد والظلم الذي يلحق بالأفراد والجماعات.

3-منع كل السياسات والممارسات التي تُهضم فيها حقوق الشعوب،أو تُفرض فيها وصاية أمة على أمة أخرى على أي مستوى من المستويات.

4-محاربة العنصرية والعرقية واستعلاء جنس على جنس آخر.

5-إرساء مبدأ التعاون بين الشعوب،واحترام الخصوصيات والمعتقدات.

6-نشر المعارف وحفز المواهب وإثراء الثقافات،وتمكين الشعوب من اكتساب المعرفة والمشاركة في التقدم العلمي والانتفاع بثماره.

الأساس الثالث:التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها،ووفقاً لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان الراغبان في التعايش المصممان عليه.

الأساس الرابع:صيانة هذا التعايش بسياج من الاحترام المتبادل،ومن الثقة المتبادلة أيضاً،حتى لا ينحرف عن الخط المرسوم،وحتى لا تغلب مصلحة طرف على مصلحة الطرف الثاني،مهما تكن الدواعي والضغوط،وذلك بأن يتم الاحتكام دائماً إلى القواسم المشتركة،وإلى القدر المشترك من القيم والمثل والمبادئ التي لا خلاف عليها ولا نزاع حولها،إذ يعزز ذلك كله الالتزام من الجانبين بما اجتمعت عليه إرادة المجتمع الدولي من مبادئ قانونية استوحاها تطور الفكر السياسي الإنساني من قيم الأديان السماوية عبر تراكم المعرفة طول حقب التاريخ»[71].

والتعايش السلمي بهذا المفهوم وبتلك الأسس لاشك أنه أحد الجسور المهمة لتوطيد الحوار الحضاري بين الأديان والثقافات المختلفة،وهو يعد من المبادئ الرئيسة التي نص عليها ديننا الإسلامي الحنيف للقيام برسالته العالمية السمحة.

خاتمة:

لا ريب في أن الخيار الأمثل والمسار الأفضل هو المسار الذي يتبنى قيم التسامح،ويرسخ العفو والأخوة والسلام،وهذا من شأنه أن يُغير الخلاف والاختلاف إلى حوار بناء وتفاهم مثمر،وهذا ما يتطلب بذل جهود كبيرة على مختلف الأصعدة والمستويات الإعلامية،والثقافية،والدينية،والسياسية والتربوية.

إن التعصب ينبع من النرجسية والمغالاة في النظر إلى الذات،وهو داء وبيل،ومرض فتاك خطير،يمنع الفكر من النظر إلى الحقائق بناء على رؤى موضوعية وعميقة،فيجعل الإنسان فاقداً القدرة على التعايش مع الآخر،وفي السنة النبوية الشريفة جاءت أحاديث عديدة تحذر من الابتلاء بداء العصبية والتعصب من بينها قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:(ليس منا من دعا إلى عصبية،وليس منا من قاتل على عصبية،وليس منا من مات على عصبية).

وكذلك الحديث الشريف-:(العصبي من يعين قومه على الظلم).

ويقول الإمام الغزالي: (إن التعصب من آفات علماء السوء،فإنهم يبالغون في التعصب للحق،وينظرون إلى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار،فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة،وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل).

ولا يختلف اثنان في أن ما نراه اليوم من مظاهر عنف يستدعي العودة إلى قيمنا الإسلامية التي تشجع على التسامح واحترام الآخر،ولا بد من الارتكاز على قيم جديدة تنفتح على القيم الإنسانية النبيلة،وتستبعد الحقد والكراهية،فديننا هو دين الوسطية والاعتدال والتسامح.

التوصيات المقترحة:

بعد هذه الجولة مع خصائص الحوار الحضاري في منظور الثقافة الإسلامية،وقضايا حوار الثقافات والحضارات،يوصي الباحث بما يأتي:

1-العمل على الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يسبب استفزازاً لمختلف الأديان،من خلال سن قوانين صارمة تحرم وتجرم كل من يُسيء إلى الرسل والأنبياء والمقدسات الدينية،وتُعاقب كل من يسعى إلى إثارة المشاعر الإيمانية والدينية،مع احترام أماكن العبادة والمقدسات الدينية كافة،وحماية كل من يرغب في الوصول إلى مقدساته،والحرص على عدم الإساءة إلى الأديان ،ولاسيما من قبل وسائل الإعلام،فمن غير المعقول أن ندعو إلى حوار الحضارات والثقافات،ونلفي مجموعة من وسائل الإعلام الغربية المرئية والمسموعة والمقروءة تعمل على تشويه صورة الإسلام،وتقدم أفكاراً مغلوطة عن مبادئه وقيمه السمحة.

2-ترسيخ قيم التسامح والتعاون بين الغرب والعالم الإسلامي،وتقدير القيم الإنسانية المشتركة مثل:العدالة والمساواة والتسامح.

3-التركيز على الأدوار الفاعلة التي يُمكن أن تلعبها الجاليات المسلمة في الغرب،من خلال تقديم صور حضارية عن الإسلام وقيمه السمحة.

4-استغلال تكنولوجيات الاتصال الحديثة في تقديم الصورة الحقيقية للدين الإسلامي،من خلال إشاعة الفكر الوسطي والمعتدل،وتسليط الضوء على أخلاقيات التعايش السلمي وقيم التسامح التي تجلت في ديننا الإسلامي الحنيف،مثل:إنشاء مواقع على الشابكة(الأنترنت) بلغات متنوعة للتعريف بالقيم الحضارية للإسلام.

5-العمل على إقامة مشاريع علمية وفكرية مشتركة بين العالمين الإسلامي والغربي تتجسد من خلالها قيم التسامح والحوار الحضاري،ويتجلى فيها احترام حرية الدين والعقيدة.

6-إقامة ندوات ومؤتمرات علمية وفكرية لمتابعة شؤون الحوار بين الثقافات والحضارات والتعاون الإنساني من أجل تشييد جسور وطيدة للسلام والتنمية.

7-العمل من أجل ألا يقتصر الحوار بين الثقافات والحضارات على النخب الثقافية وأساتذة الجامعات وعامة المثقفين فحسب،بل لابد من وضع خطط علمية تتسم بمنهجية سليمة تُسهم في نقل الحوار الحضاري إلى شرائح واسعة من المجتمعات الإسلامية والغربية،وذلك على مبادئ سليمة تبنى على الاحترام المتبادل والتعاون.

8-الإكثار من الدروس التي تُرسخ ثقافة الحوار والتعايش السلمي والتسامح مع الآخر،وذلك عن طريق تضمينها في المناهج التربوية،وإقامة مقررات رسمية في المدارس والجامعات تُبرز احترام خصوصيات الآخر وقبوله والحوار معه.

9-إنشاء قنوات وبرامج وحصص إعلامية تجسد الحوار الحضاري والتعايش السلمي،وتدعو إلى الحوار والتسامح مع الآخر،والعمل على أن تكون مشتركة بين الديانات المختلفة وتُقدم بلغات متنوعة لتفعيل الحوار مع الآخر،وعرض الصورة الحقيقية للإسلام.

10-الإفادة من النشاطات والفعاليات الثقافية،والمناسبات الدينية والوطنية في تسليط الضوء على قيم التعايش السلمي والتسامح بين مختلف الديانات،وتنمية قيم التضامن والأخوة والمحبة المتبادلة.

11-إقامة مراكز فكرية وجمعيات ثقافية في مختلف بلدان العالم،ولاسيما في الغرب،لاطلاع المجتمعات على الصور المشرقة في الحضارة الإسلامية،والتركيز على المحطات التي جمعت الأديان على المحبة والتسامح،والكشف عن القواسم المشتركة بين الأمم والشعوب والأديان سواء في المجال الديني أو الثقافي.

12-الحرص على تطبيق منهج المحاورة كما جاء في القرآن الكريم بالتي هي أحسن،ولابد أن يُدرك أطراف الحوار(المحاوِر والمحاوَر)أن الحوار بين الإسلام والغرب ليس نابعاً من باب الضعف،وإنما هو تطبيق لسنة نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم-الذي كان يحاور بهدوء عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة،وكان يحترم الآخر،وهذا من شأنه أن يُقرب الدين الإسلامي إلى الآخر ويرد على الإساءة والتشويه.

13-دعم الأبحاث والدراسات التي تهدف إلى تحقيق التواصل الثقافي والحضاري بين مختلف الأديان والأمم والشعوب،من خلال تقديم منح و تأسيس جوائز لتشجيع أحسن الأبحاث التي تُبرز أثر الثقافة الإسلامية في الحوار الحضاري والتعايش السلمي،وأوجدت حلولاً للمشاكل التي تعترض طرائق الحوار مع الآخر،مع تشجيع المبادرات التي تصب في هذا الباب .

14- الاهتمام بمتابعة الحوار الحضاري وتكثيفه في بعده التربوي والثقافي،و تعزيز اللقاءات والأيام الثقافية التي تُعرف بالحضارة الإسلامية في العواصم الغربية ، وتبادل الآراء من أجل تطوير العلاقات بين أتباع الديانات المختلفة.

15-إقرار جملة من المبادئ التي تؤكد على عدم استهداف أشكال الهوية الإنسانية التي تتجلى من خلال اللغة والوطن والتاريخ والتقاليد وغيرها،والعمل على الرد بطرائق حضارية راقية على المقولات التي تدعو إلى صدام الحضارات وإشاعة العنف والتطرف.

16-القيام بحوارات داخلية بين المسلمين أنفسهم لتحديد أولويات الحوار الحضاري مع الآخر،وإبراز أسسه وقضاياه وأولوياته بما يتوافق مع متطلبات ومصالح الأمة الإسلامية،حيث يمكن تفعيل هذا الحوار الداخلي عن طريق التنسيق والتفاعل بين المؤسسات الفكرية والمنظمات الإسلامية،وتبادل وجهات النظر لتحديد أهداف الحوار الحضاري مع الآخر.

17-مراسلة مراكز البحوث والمؤسسات الفكرية في مختلف دول العالم،وتزويدها بالمطبوعات المتعلقة بالحوار الحضاري مع الآخر،وتشجيعها على التعاون الفكري،والتبادل الثقافي من أجل توضيح أثر الثقافة الإسلامية في الحوار الحضاري والتعايش السلمي.

18-تنظيم منتديات فكرية وإصدار مجلات علمية تسلط الضوء على القواسم المشتركة بين الأديان،وتوضح القيم الإسلامية السمحة للآخر التي تُبرز حسن الجوار والتعايش والسلام.

19-إدانة التطرف وأعمال العنف بجميع أشكالها،و الاتفاق على عدم ربطها بدين محدد،انطلاقاً من إدراك المجتمعات والأمم أن في كل مجتمع غلاة فهمهم قاصر لحقيقة الأديان ورسالتها الحضارية.

20-الابتعاد عن الغرور والاعتقاد بتفوق أي طرف من أطراف الحوار على الآخر،فلابد من الاعتراف بالآخر والإقرار بخصوصيته الثقافية،حتى لا يؤدي هذا الأمر إلى الجفاء والتجاهل ورواج الأفكار الهدامة، ويشجع على الكراهية والأحقاد.

21-التركيز على المحطات التاريخية المشرِّفة والمشرقة بين المسلمين والمسيحيين،ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أننا نُلفي في العصر العباسي كيف أن المسيحيين قد قاموا بنقل التراث من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية،ثم من اللغة السريانية إلى اللغة العربية،وقد وجودوا كل التشجيع والاحتفاء من قبل الخلفاء المسلمين،فأجزلوا لهم العطاء واحترموا ديانتهم،كما تأثر الكثير من فلاسفة المسيحية بجملة من الأفكار الإسلامية وكانوا يستشهدون بها،ويعبرون عن إعجابهم الشديد بما تضمنته.

الهوامش :

(1)أحمد سلمان كمال:حوار الأديان،أعمال المؤتمر الدولي التراث والمعاصرة وحوار الثقافات،منشورات جمعية بيروت التراث،بيروت ،لبنان،2003م،ص:162. وينظر الكلمة الافتتاحية لكتاب أعمال مؤتمر كيف نواصل مشروع حوار الحضارات،ج:01،منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،1423هـ/2002م،ص:8.

(2)شكري بوشغالة:حوار الأديان،مجلة الحياة الثقافية،مجلة شهرية تعنى بالفكر والإبداع تصدر عن وزارة الثقافة التونسية،عدد خاص بالأديان والقيم الإنسانية المشتركة ،العدد:199،جانفي2009م،ص:49.

(3)ينظر:د.إبراهيم القادري بوتشيش:المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس،نموذج من العطاء الحضاري الأندلسي،مجلة دراسات أندلسية،عدد:11،رجب1414هـ/1994م،تونس،ص:22،وما بعدها، وينظر:د. بومدين كروم:ملامح الحوار الديني في الحضارة الأندلسية،أعمال الملتقى الدولي الحضارة الإسلامية بالأندلس،أيام:14،و15،و16 ربيع الأول1428هـ/2،و3،و4أفريل2007م،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر،2008م،ص:21 وما بعدها، وينظر:د.سعد بوفلاقة:حوار الثقافات في الغرب الإسلامي،مجلة المنار الجديد،عدد مزدوج32/31،صيف،خريف2005م،القاهرة، مصر،ص:53 وما بعدها.

(4)د.عمار جيدل:متطلبات الحوار الحضاري،أعمال مؤتمر كيف نواصل مشروع حوار الحضارات،ج:01، ،1423هـ/2002م،ص:138.

(5)د.عمار جيدل:متطلبات الحوار الحضاري،المرجع نفسه،ص:140.

(6)د.عبد القادر الشيخلي:ثقافة الحوار في الإسلام،منشورات كتاب الرياض،الرياض،المملكة العربية السعودية،ط:1424،01هـ/2003م،ص:128 وما بعدها.

(7)د.هادي خانيكي:الحوار مع الذات والحوار مع الآخر،أعمال مؤتمر كيف نواصل مشروع حوار الحضارات،ج:02، ،ص:210.

(8)د.أبو يعرب المرزوقي:مقومات وشروط الحوار السوي بين الحضارات،بحث منشور في كتاب محاضرات في حوار الحضارات ،منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،1421هـ/2001م،ص:46 و67.

(9)سيد إدريس هاني:مداخلة على بحث مقومات وشروط الحوار السوي بين الحضارات للدكتور أبو يعرب المرزوقي،بحث منشور في كتاب محاضرات في حوار الحضارات،ص:406.

(10)سورة النحل،الآية:125.

(11)محمد علي تسخيري: قيم الحوار والتعايش في الرؤية الثقافية الإسلامية،أعمال مؤتمر كيف نواصل مشروع حوار الحضارات،ج:01 ،ص:61 وما بعدها.

(12)نجيب جورج عوض:أبعد من الحوار:هل يكفي حوار التعايش بين الأديان؟، مجلة النشرة،دورية تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية،عمّان،الأردن،العدد:35،السنة:3،2005/09م، ص:5.

(13)سورة سبأ، الآية : 24.

(14)سورة سبأ، الآية : 25.

(15)سورة سبأ، الآية : 26.

(16)سورة البقرة، الآية : 251.

(17)سورة البقرة، الآية : 256.

(18)د.محمد السماك:ثقافة الحوار في الإسلام:حرية الاختيار وحق الاختلاف،مجلة النشرة،دورية تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية،عمّان،الأردن،العدد:44،السنة:11،ربيع2009م،ص:22 وما بعدها.

(19)د.محمد السماك:ثقافة الحوار في الإسلام:حرية الاختيار وحق الاختلاف،المرجع نفسه ،ص:24.

(20)سورة طه، الآيات : 42،43،44.

(21)سورة فصلت، الآية : 33،34.

(22)سورة الأنعام، الآية : 108.

(23)سورة الكهف، الآية : 110.

(24)سورة الأعراف، الآية : 188.

(25)سورة البقرة، الآية : 170.

(26)سورة سبأ، الآية : 46.

(27)د.محمد السماك:ثقافة الحوار في الإسلام،المرجع السابق ،ص:25.

(28)سورة النبأ،الآية:38.

(29)سورة النجم،الآية:3.

(30)سورة الزمر،الآية:23.

(31)سورة فصلت،الآية:33.

(32)سورة الحجر،الآية:88.

(33)سورة ص،الآية:26.

(34)سورة البقرة،الآية:10.

(35)سورة الأعراف،الآية:187.

(36)سورة زخرف،الآية:18.

(37)سورة الشورى،الآية:16.

(38)د.عبد القادر الشيخلي:ثقافة الحوار في الإسلام ،ص:92 وما بعدها.

(39) أحمد سلمان كمال:حوار الأديان،أعمال المؤتمر الدولي التراث والمعاصرة وحوار الثقافات ببيروت ،ص:164 وما بعدها.

(40)سورة يونس،الآية:19.

(41)سورة المائدة،الآية:48.

(42)سورة النساء الآية1،وينظر كذلك الآية13 من سورة الحجرات.

(43)سورة يونس،الآية:59.

(44)سورة الحج،الآية:40.

(45)محمد أديوان:مفهوم الحوار في الإسلام-مقاربة ثقافية استراتيجية-،بحث منشور في كتاب:الأدب المغربي:إشكالات وتجليات،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،ط:1427،01هـ/2006م،ص:507 وما بعدها.

(46)سورة الأنعام،الآية:108.

(47)سورة آل عمران،الآية:64.

(48)سورة البقرة،الآية:136.

(49)سورة الكهف،الآية:29.

(50)سورة الغاشية،الآية:21.

(51)محمد أديوان:مفهوم الحوار في الإسلام-مقاربة ثقافية استراتيجية-،المرجع السابق ،ص:512 وما بعدها.

(52)سورة الحجرات،الآية:13.

(53)سورة الحجرات،الآية:10.

(54) د.عبد العزيز بن عثمان التويجري:العولمة وحوار الحضارات:رؤية من خلال الإيسيسكو،المرجع السابق،ص:39 وما بعدها.

(55) سورة البقرة، الآية : 256.

(56)د.أحمد طالب الإيراهيمي:حوار الحضارات،الإسلام والغرب كتاب العربي العدد:49،منشورا وزارة الإعلام بدولة الكويت يوليو2002م،ص:118 وما بعدها.

(57)د.أحمد طالب الإيراهيمي:حوار الحضارات،المرجع نفسه،ص:120 وما بعدها.

(58)د.يوسف الحسن:حوار الحضارات..لماذا؟،المرجع نفسه،ص:126 وما بعدها.

(59)د.محمد علي آذرشب:كلمة افتتاحية ،المرجع نفسه،ص:16 وما بعدها.

(60)د.نادية محمود مصطفى:حوار الحضارات في ضوء العلاقات الدولية الراهنة،المرجع نفسه ،ص:189 وما بعدها.

(61)د.محمد جابر الأنصاري:هل نحن في علاقة مشوهة مع النفس،الإسلام والغرب كتاب العربي العدد:49،منشورات وزارة الإعلام بدولة الكويت يوليو2002م،ص:224 وما بعدها.

(62)د.أحمد طالب الإبراهيمي:حوار الأديان،مداخلة ألقيت في مؤتمر حوار الأديان الذي عُقد بقطر في:13مايو2008م،أسبوعية البصائر،العدد:402،الاثنين25رجب-2شعبان1429هـ/28جويلية-04أوت2008م،،ص:05.

(63)عبد العزيز بوتفليقة:الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات،كلمة افتتاح لملتقى الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات،الجزائر الإثنين24مارس2003م،منشورة في كتاب خطب ورسائل،مديرية الاتصال والصحافة رئاسة الجمهورية الجزائرية،2003م،ص:214.

(64)د.عبد الكبير العلوي المدغري:الحوار بين الحضارات،منشورات وزارة الشؤون الدينية المغربية،د،ت،ص:35.

(65)سورة المائدة،الآية:48.

(66)د.عصام أحمد البشير:نماذج للتعايش الديني في التاريخ الإسلامي ،مجلة النشرة،دورية تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية،عمّان،الأردن،العدد:40،السنة:3،2007/11م،ص:33.

(67)الأمير تشارلز:إحساس بالمقدس:بناء الجسور بين الإسلام والغرب،منشورات مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية،أكسفورد،1997م،ص:10،نقلاً عن كتاب محاضرات في حوار الحضارات،ص:341.

(68)الأمير تشارلز:إحساس بالمقدس:بناء الجسور بين الإسلام والغرب،منشورات مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية،أكسفورد،1997م،ص:16،نقلاً عن كتاب محاضرات في حوار الحضارات،ص:341.

(69)زكي الميلاد:تعقيب على بحث د.وجيه كوثراني الموسوم ب(حول إشكالية الخيار بين حوار الثقافات أم صراعها). محاضرات في حوار الحضارات ،منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،1421هـ/2001م،ص:385 وما بعدها.

(70)الحسن بن طلال:كلام في الحوار:روحه وأدبه وفنه،مجلة النشرة،دورية تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية،عمّان،الأردن،العدد:38،السنة:1،2007/11م،ص:4 وما بعدها.

(71)د.مفرح بن سلمان بن عبد الله القوسي:العلاقة الفكرية الثقافية بين العالمين الإسلامي والغربي في العصر الحاضر:الحواجز والجسور،كتاب صادر عن سلسلة دعوة الحق،كتاب شهري محكم يصدر عن الإدارة العامة للثقافة والنشر برابطة العالم الإسلامي،العدد:226،السنة الثالثة والعشرون،1429هـ/2008م،ص:85 وما بعدها.

المصادر والمراجع :

-القرآن الكريم

1-الأدب المغربي:إشكالات وتجليات،أعمال مهداة إلى عباس الجراري،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،ط:1427،01هـ/2006م.

2-الإسلام والغرب كتاب العربي العدد:49،منشورات وزارة الإعلام بدولة الكويت، يوليو2002م.

3-أعمال المؤتمر الدولي التراث والمعاصرة وحوار الثقافات المنعقد ببيروت أيام:8-9-10ديسمبر2003م،منشورات جمعية بيروت التراث،بيروت ،لبنان،2003م.

4-أعمال الملتقى الدولي الحضارة الإسلامية بالأندلس،أيام:14،و15،و16 ربيع الأول1428هـ/2،و3،و4أفريل2007م،منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر،2008م.

5-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري) ،ج:10، دار الحديث، القاهرة، 1416 هـ.

6-الحوار بين الحضارات، د.عبد الكبير العلوي المدغري:منشورات وزارة الشؤون الدينية المغربية،د،ت.

7-كيف نواصل مشروع حوار الحضارات،الجزء الأول والثاني،منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،1423هـ/2002م.

8- لسان العرب، ابن منظور ، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، 2000 م.

9-محاضرات ملتقى الذات والآخر في الثقافة العربية الإسلامية،أعمال ندوة:8و9و10أفريل1999م، ،منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان،تونس،2003م.

10-محاضرات في حوار الحضارات ،منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق،1421هـ/2001م.

11-المنطقة العربية الإسلامية مدخل إلى نقد الحاضر ومساءلة الآخر،منشورات دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2007م.

12- المعجم الفلسفي، د.جميل صاليبا، دار الكتاب اللبناني،ج:1 بيروت، 1982 م.
13-المقابسات، أبو حيان التوحيدي، مطبعة الرحمانية، القاهرة، 1929 م.
14- المقدمة، ابن خلدون ، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967 م.
15-العلاقة الفكرية الثقافية بين العالمين الإسلامي والغربي في العصر الحاضر:الحواجز والجسور، د.مفرح بن سلمان بن عبد الله القوسي:كتاب صادر عن سلسلة دعوة الحق،كتاب شهري محكم يصدر عن الإدارة العامة للثقافة والنشر برابطة العالم الإسلامي،العدد:226،السنة الثالثة والعشرون،1429هـ/2008م.
16- الثقافة ومآسي رجالها،د.محمد بن عبد الكريم، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر (د.ت).
17-ثقافة الحوار في الإسلام، د.عبد القادر الشيخلي، منشورات كتاب الرياض،الرياض،المملكة العربية السعودية،ط:1424،01هـ/2003م.
18-خطب ورسائل،عبد العزيز بوتفليقة ،مديرية الاتصال والصحافة رئاسة الجمهورية الجزائرية،2003م.
19- الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى،تنسيق:محمد حمام،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط،جامعة محمد الخامس،ط:1995،01م.

المجلات :

1 - مجلة البصائر،مجلة أسبوعية تصدر عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،العدد:402،الاثنين25رجب-2شعبان1429هـ/28جويلية-04أوت2008م.
2 - مجلة دراسات،مجلة دورية محكمة تصدر عن جامعة الأغواط،الجزائر،العدد:02،جوان2005م.
3 - مجلة دراسات أندلسية،مجلة علمية مختصة محكمة في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلامية،العدد:11،رجب1414هـ/جانفي1994م.
4 - مجلة الحياة الثقافية،مجلة شهرية تعنى بالفكر والإبداع تصدر عن وزارة الثقافة التونسية،عدد خاص بالأديان والقيم الإنسانية المشتركة ،العدد:199،جانفي2009م.
5 - مجلة النشرة،دورية تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية،عمّان،الأردن،العدد:35،السنة:3،2005/09م
6 - مجلة النشرة،دورية تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية،عمّان،الأردن،العدد:38،السنة:1،2007/11م
7 - مجلة النشرة،دورية تصدر عن المعهد الملكي للدراسات الدينية،عمّان،الأردن،العدد:40،السنة:3،2007/11م .